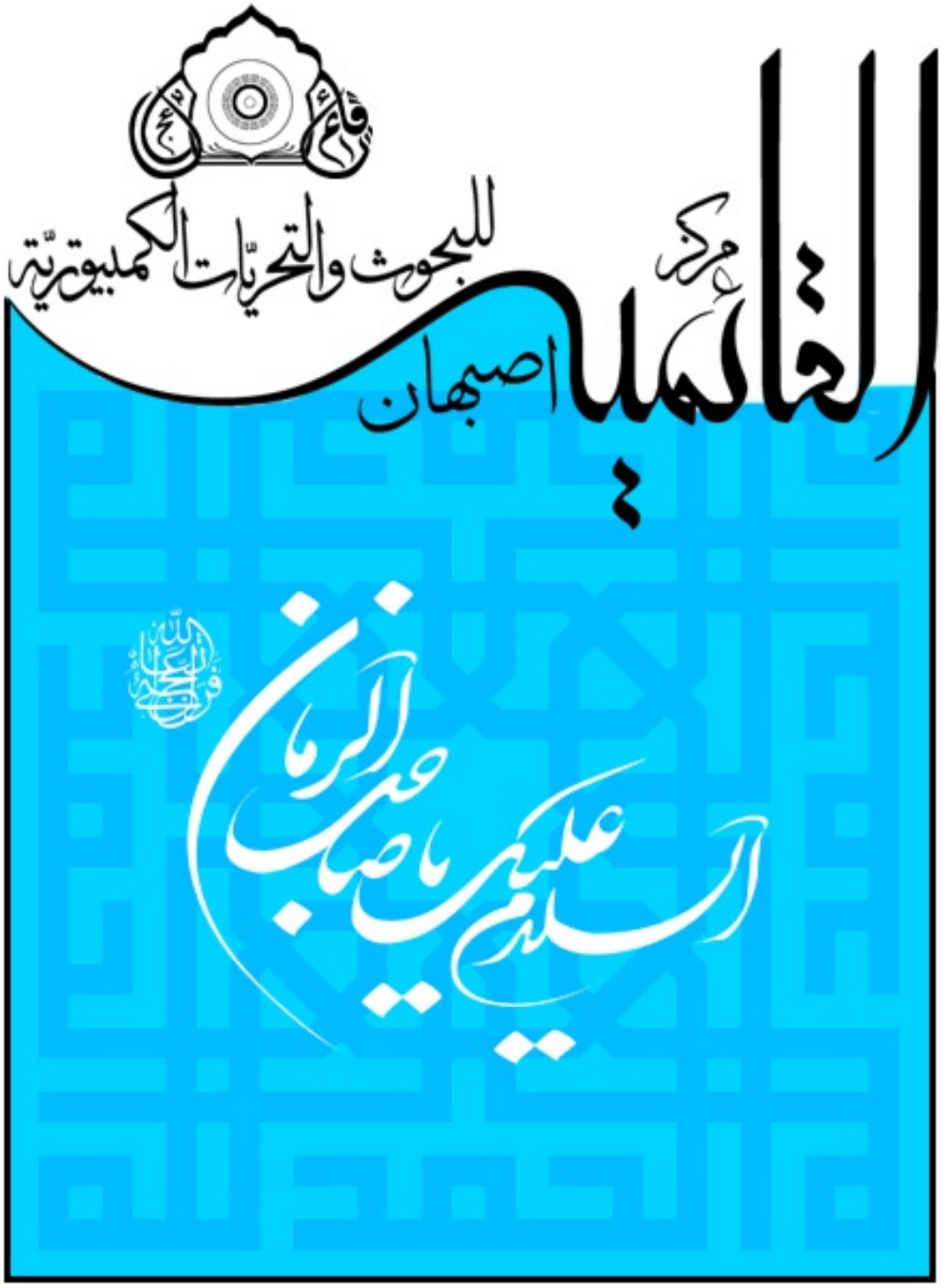

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإمام الحسن

بين الواقع وظلال التاريخ

دراسة تحليلية

يحيى عبد الحسين الدوخي

بسم الله الرحمن الرحيم

صلح الامام‌الحسن بین الواقع و ظلم التاریخ (دراسه تحلیلیه)

کاتب:

یحیی‌عبدالحسن دوخی

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
صلح الامام‌الحسن بین الواقع و ظلم التاریخ (دراسه تحلیلیه) ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
دیباجة ----- ۱۱
المقدّمة ----- ۱۹
الفصل الأوّل: الإمام الحسن (ع) ----- ۲۵
اشاره ----- ۲۵
حیاة الإمام الحسن المجتبی (ع) ----- ۲۷
نسبه وولادته ----- ۲۷
الولادة المیمونة وشَبَهَه برسول الله (ص) ----- ۲۷
فضائله (ع) ----- ۲۹
خلافة الإمام الحسن وإمامته ----- ۳۳
اشاره ----- ۳۳
بیعته (ع) ----- ۳۶
سیاسة معاویة بعد بیعة الإمام الحسن (ع) ----- ۳۸
تبادل الرسائل بین الإمام الحسن (ع) ومعاویة ----- ۴۰
آخر رسالة وجَّهها الإمام الحسن لمعاویة ----- ۴۷
معاویة یعبّئ الناس لقتال الإمام الحسن (ع) ----- ۴۸
لامناص من الحرب ----- ۴۹
الکوفة ومجتمعها الممزوج بعدَّة اتّجاهات ----- ۴۹
اشاره ----- ۴۹
۱. الخوارج ----- ۵۰
۲. الفئة الممالئة للحکم الأموی، وهی علی قسمین ----- ۵۰

۳. الفئة الترددة المذبذبة ۵۰
۴. الفئة الهمجية الغوغائية ۵۰
۵. الفئة المؤمنة المخلصة ۵۱
خذلان الجيش وتفرّقه عن الإمام الحسن (ع) ۵۱
معاوية يشترى الذمم بالمال ۵۲
استمالة معاوية لرؤساء القبائل ۵۳
خلاصة سياسة الإمام الحسن (ع) ۵۴
الفصل الثانى: صُلح الإمام الحسن (ع) ۵۷
اشارة ۵۷
تمهيد ۵۹
وثيقة الصُلح بلسان المؤرّخين ۶۱
اشارة ۶۱
۱. ما ذكره ابن أعثم وابن طلحة وابن الصباغ ۶۱
۲. ما ذكره السيوطى وابن حجر ۶۲
۳. ما ذكره ابن عنبة ۶۳
۴. ما رواه ابن الأثير وأبو الفداء ۶۳
فقرات وبنود الصلح ۶۴
نقض معاوية لمعاهدة الصلح ۶۵
خطاب معاوية لأهل الكوفة ۶۵
وصف معاوية بالغدر بعد نقض الصلح ۷۴
أسباب الصلح ومُبرّراته ۷۵
اشارة ۷۵
۱- تركيبة جيش الكوفة ۷۵
۲- خيانة أُمراء الجيش ۷۶

۳- جیش مُرهَق أثر الحروب المتتالیة ۷۷
۴- ظهور الشائعات وحدوث اضطرابات داخلیة ۷۸
نتائج الصلح وثمراته ۸۱
اشارة ۸۱
۱- إصلاح الأُمّة وحقن دماء المسلمین ۸۱
۲- الحفاظ علی السنّة النبویة المتمثِّلة بالثقل الثانی للکتاب ۸۴
۳- فضح معاویة من خلال وثیقة الصلح ۸۴
اشارة ۸۴
معاویة فی میزان الإمام الحسن (ع) ۸۵
۴- التمهید لثورة الحسین فی کربلاء ۸۶
الفصل الثالث: شبهات حول صُلح الإمام الحسن (ع) ۸۹
اشارة ۸۹
الشُبهة الأولی: تسلیم الخلافة لمعاویة کاشف علی عدم النص علی الإمامة ۹۱
اشارة ۹۱
جواب الشبهة ۹۲
عدم التفریق بین الإمامة السیاسیة والإلهیة ۹۲
خلط القفاری فی عدد الجیش الذی ذکره المؤرّخون ۹۴
تحقیق فی عدد جیش الإمام الحسن (ع) ۹۴
اشارة ۹۴
۱- ما رواه ابن قتیبة (مائة ألف) ۹۴
اشارة ۹۴
تفرُّد ابن قتیبة بهذا العدد ۹۵
۲- ما رواه الیعقوبی (تسعون ألف) ۹۶
اشارة ۹۶

عدم الوثوق بنقل هذا العدد لانَّ الناقل هو زياد بن أبيه ---- ۹۶
۳- ما رواه ابن عساكر وابن كثير الدمشقى (سبعون أو ثمانون ألفاً) ---- ۹۶
اشارة ---- ۹۶
العدد المذكور يشمل جيش الكوفة والشام معاً ---- ۹۷
۴- ما رواه الطبرى وابن الأثير وابن أبى الحديد (أربعون ألفاً) ---- ۹۷
اشارة ---- ۹۷
العدد المعقول الذى يمكن الوثوق به ---- ۹۸
وقفة مع رواية الصلح (إنّ ابنى هذا سيّد ولعلَّ الله. . .) ---- ۹۹
فالجواب ---- ۹۹
۱- عدم ثبوت هذه الرواية من طرقنا؛ ولذا لا يمكن التعويل عليها لإثبات شيء ---- ۹۹
۲- إنَّ هذه الرواية آحاد، ومُختلَف فى وصلها وإرسالها ---- ۹۹
۳- الرواية نبوءة بالمستقبل، تدلّ على التوقع والاحتمال ---- ۱۰۰
۴- الرواية ليس فيها دلالة على رجحان الصلح فى ذاته. ---- ۱۰۰
۵- إنَّ التعبير عن الطائفتين بالمسلمة لا ينفع طائفة معاوية، ولا يحوّلها من طائفة باغية إلى طائفة محقّة ---- ۱۰۰
الشبهة الثانية: الامام الحسن مزواج مطلاق ---- ۱۰۳
اشارة ---- ۱۰۳
الروايات التأريخية والحديثية ---- ۱۰۳
رواية المدائنى ---- ۱۰۳
رواية ابن كثير ---- ۱۰۴
رواية أبى طالب المكّى ---- ۱۰۴
رواية الكلينى والبرقى ---- ۱۰۵
الجواب ---- ۱۰۵
معايير وضوابط قبول الروايات ---- ۱۰۵
العلماء الّذين أوردوا بعض هذه المعايير ---- ۱۰۶

۱. الشیخ المفید ----- ۱۰۶
۲. الشیخ الطوسی ----- ۱۰۷
۳. العلامة التستری ----- ۱۰۷
۴. العلامة السید محمد حسین الطباطبائی ----- ۱۰۸
۵. الخطیب البغدادی ----- ۱۰۹
۶. ابن الصلاح ----- ۱۰۹
۷. الجصاص ----- ۱۱۰
۸. ابن القیم الجوزیة ----- ۱۱۰
تقییم عام لأخبار (زواج وطلاق الإمام الحسن (ع)) وفق قواعد ومعاییر قبول الروایات ----- ۱۱۱
اشارة ----- ۱۱۱
۱. عصمة الإمام تأبی قبول هذا العدد الکبیر ----- ۱۱۱
۲- معاویة (الخصم للإمام الحسن) لم یذکر هذه القضیة فی مناظراته ----- ۱۱۳
۳- کُتب التأریخ والأنساب لم تطرح مثل هذا العدد ----- ۱۱۳
۴- عدد أولاد الإمام الحسن لا یتناسب مع هذه الکثرة من الزوجات ----- ۱۱۴
۵- الشریعة أصّلت مبدأ الاستمرار فی العلاقة الزوجیة، ونهت عن الطلاق بصورة مغلّظة ----- ۱۱۵
۶- واقع المرحلة التی یعیشها الإمام الحسن تأبی قبول هذا العدد المبالغ فیه ----- ۱۱۶
الخلاصة ----- ۱۱۷
الشبهة الثالثة: اختلاف الحسنان (علیهما السلام) فیالسلم و الحرب ----- ۱۱۹
اشارة ----- ۱۱۹
الجواب: حقائق لها مدخلیة فی حلِّ هذه الإشکالیة ----- ۱۱۹
الحقیقة الأُولی: تأصیل الدور الفقهی لعملیة الصلح أو الحرب فی الإسلام ----- ۱۱۹
اشارة ----- ۱۱۹
آراء الفقهاء ----- ۱۲۰
اشارة ----- ۱۲۰

۱. العلامة الحلّی ---- ۱۲۰
۲. الشهید الثانی ---- ۱۲۰
۳. العلامة الطبرسی ---- ۱۲۰
۴. العلامة مرتضی المطهری ---- ۱۲۱
۵. العلامة العینی ---- ۱۲۱
الحقیقة الثانیة: تنوّع الدور ووحدة الهدف ---- ۱۲۲
اشارة ---- ۱۲۲
الأئمّة فی زمن الإمام الحسن کانت تعیش مرض الشک ---- ۱۲۳
الحقیقة الثالثة: الخط الأموی یری أنَّ الرسالة لیست إلّا مُلک وسلطان ---- ۱۲۴
مقولة أبو سفیان: (هو المُلک، ولا أدری ما جنّة ولا نار) ---- ۱۲۴
مقولة معاویة (لا والله إلّا دفناً دفنا) ---- ۱۲۵
الخاتمة ---- ۱۳۱
المراجع والمصادر ---- ۱۳۳
تعریف مرکز ---- ۱۴۱

صلح الامام‌الحسن بین الواقع و ظلم التاریخ (دراسه تحلیلیه)

اشارهٔ

سرشناسه : دوخی، یحیی‌عبدالحسن

عنوان و نام پدیدآور : صلح الامام‌الحسن بین الواقع و ظلم التاریخ (دراسه تحلیلیه)/ یحیی‌عبدالحسن الدوخی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۱.

مشخصات ظاهری : ۱۳۵ ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۹۹-۵

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه: ص. [۱۲۳] - ۱۳۰؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : حسن‌بن علی (ع)، امام دوم، ۳ - ۵۰ق -- صلح با معاویه

موضوع : حسن‌بن علی (ع)، امام دوم، ۳ - ۵۰ق -- سرگذشتنامه

موضوع : معاویهٔ بن ابی سفیان. خلیفه اموی، ۲۰ قبل از هجرت - ۶۰ق.

رده بندی کنگره : BP۴۰/د۸۴ص۸ ۱۳۹۱

رده بندی دیویی : ۹۵۳/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : ۲۸۶۷۱۸۸

ص:۱

دیباجهٔ

ص:۲

ص:۳

ص:۴

ص:۵

ص:۶

ص:۷

لا نغالى إذا قُلنا إنَّ صُلح الإمام الحسن (ع) له من الأهميـة بمكان؛ بحيث يُشـكل منعطفاً تأريخياً فى مسـيرة الأمة الإسـلامية، وكذلك يُعبِّر عن تأسيس لمرحلة جديدة – من الفهم والإدراك فى عقليّة وذهن المسلمين – لمسار الأحداث الجارية التى رسمها الخط الأموى بشـكل مغـاير لمـا عـاشه المسـلمون فى زمن رسول الله (ص) ؛ فتصـدى الإمـام الحسن بصـلحه لانحرافٍ كاد يعصف بمفهوم الرسالة المحمدية ويطيح بمفاهيمها السامية التى بذل فى سبيلها رسول الله (ص) كل غال ونفيس.

وعلى الرغم من هـذه الأهميـة الكبيرة لهـذا الحـدث التأريخى – للأسف – لم نجـد يـد المؤرخين وأصـحاب السِّير قد تناولته بإنصاف وموضوعيـة، فقـد رُسِـمت صورته مقطّعة الأوصال، وفى بعض الأحيان بشـكل مقلوب، فكوّنت فى النتيجة صورة غير واضـحة الملامح متفرقة ومتشتتة لا تنمّ عن الحقيقة كاملةً. . .

ومن الطبيعى والحال هذه أن تُثار بعض الشبهات حول ماهية الصلح وما يدور حوله من أحداث. . .

ص:۸

من هنا جاء هـذا الكتاب ليوّضـح معالم وثيقـة هذا الصـلح وأسـبابه ونتائجه وثمراته، ويدفع بعض الشـبهات التى أثيرت حوله، وبذلك يضع المحقق والأسـتاذ الدكتور (يحيى عبد الحسن الدوخى) يده على الجرح؛ ليكشف مجريات هذه الأحداث بتحقيق علمى رصـين، جَمَع فيه بعض النصوص و الروايات و قام بتحليلها و دراستها بشىء من التفصيل؛ ليضع الحقائق فى نصابها الصحيح.

وضـمناً يتقـدم معهـد الحـج والزيارة بالشـكر والتقـدير للجهود المبذولـة للأسـتاذ العزيز، سائلين المولى العلّى القدير أن يتقبل منه هذا العمـل، وفى الوقت ذاته أن تكون هـذه الأبحـاث ومـا تحمله من حقـائق ناصـعة مـدعاة لتوحيـد الأمـة، ورصف صـفوفها حول عترتها الطاهرة، الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

و الله ولى التوفيق

قسم الكلام و المعارف

معهد الحج والزيارة

ص:۹

المقدّمة

إنَّ صياغة التاريخ الإسلامى للمفردات التى تحدّث عنها، قد أضفت عليه الكثير من الغموض وعدم الوضوح فى جملة كبيرة من الوقائع والأحداث، مع ما لها من الأهمّية والحساسية بالنسبة للمسلمين. ولعلَّ واحدة من هذه المفردات هى صُلح الإمام الحسن (ع) ؛ فالتأريخ قد أسدل الستار على تلكم الوقائع، والتى لو بانت وأُفصح عنها، لتغيَّرت كثير من الأحكام، التى قد صدرت عن البعض بغير وجه حق.

ونحن هنا لسنا بصدد محاكمة من قاموا بذلك، ولكنَّنا نريد النظر فى حقيقة الأمر، من جهة كونها حادثة تاريخية.

فعلى سبيل الفرض، نجد أنَّ الطبرى عندما يتكلّم حول وثيقة الصلح مع معاوية، لم يذكر لنا تلك البنود التى فرضها الإمام الحسن على معاوية، بل اكتفا بنقل عبارة توحى بأنَّ معاوية فتح الباب على مصراعيه بقبول شروط الإمام (ع) . ونصّ ما قال:

«قد ارسل معاوية إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها [بختمه]، وكتب إليه: أنْ اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها ما

ص:۱۰

شئت، فهو لك» .(۱)

ثم قُطِع الحديث، فلم يذكر بعد ذلك ما كتب الإمام الحسن (ع) على صحيفة معاوية.

و مَن يتتبَّع المصادر التاريخية التى ذكرت بنود الصلح وشروطه فلن يجد سوى النزر اليسير من توثيق هذا الحدث التأريخى المهم.

وكذلك انعكس هذا الأمر فى روايات بعض المحدِّثين؛ فإنَّنا نجد الذهبى قد اختزل هذا الحدث بروايةٍ ينقلها عن الحسن البصرى، عن أبى‌موسى:

استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: والله إنّى لأرى كتائب لا تولى أو تقتل أقرانها. وقال معاوية، وكان خير الرجلين: أرأيت إنْ قتل هؤلاء هؤلاء، مَن لى بذراريهم، مَن لى بأمورهم، مَن لى بنسائهم؟ قال: فبعث عبد الرحمن بن سمرة، فصالح الحسن معاوية وسلّم الأمر له. (۲)

فهنا نلاحظ اختزال تاريخ الإمام الحسن تماماً، وما قام به من دور، فى الصلح مع معاوية، معاوية الذى وصفه العقّاد شارحاً سياسته:

كانت له حيلته التى كرَّرها وأتقنها وبَرع فيها، واستخدمها مع خصومه فى الدولة، من المسلمين وغير المسلمين، وكان قوام

تلك الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخذيل بين خصومه؛ بإلقاء الشُبهات بينهم، وإثارة الإحن فيهم، ومنهم مَن كانوا مِن أهل بيته وذوى قرباه. كان لايطيق أن يرى رجلين ذوى خطر على وفاق. . . فلو أنَّه استطاع أنْ

۱- تاريخ الطبرى، ج ۴، ص۱۲۴.

۲- تاريخ الإسلام، الذهبى، ج۴، ص ۳۸.

ص:۱۱

يجعل من كلّ رجل فى دولته حزباً منابذاً لغيره من رجال الدولة كافة لفعل، ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح، لما وصفه بغير مُفرِّق الجماعات. . . .(۱)

فمعاوية سياسته قائمة على الحيلة والتفريق وإثارة الإحن، ولو حاسبه التأريخ حسابه الصحيح - كما يقول العقاد - لوصفه بمفرِّق الجماعات.

ومع هذا كلّه، نجد الذهبى يجعله كالحمل الوديع، مختصراً تلك الحُقبة بكلماتٍ لا تكاد تنحصر بخمسة أسطر، ومَن دقَّق فيها يجد الغرابة؛ فمعاوية الذى هو خير الرجلين، يتحسّر أسفاً على الذرارى والنساء لو قام الإمام الحسن بالقتال!

ثُمَّ إنَّ عمرو بن العاص رأى كتائب لاـ تولى، كنايةً عن كثرة الجيش، فنسأَل: ما هى الأسباب التى أدَّت إلى الصلح مع هذه الكثرة الكاثرة من الكتائب أمثال الجبال؟

وما هى مُجريات الأحداث التى برزت فى تلكم الفترة، بحيث إنَّ الإمام سرعان ما يقبل من عبد الرحمن بن سمرة، فيصالح ويسلِّم الأمر إلى معاوية؟ !

وللأسف أنَّنا نجد مَن ينقل هذه الروايات ويتبَّناها. ونذكر - على سبيل المثال لا الحصر - الهيتمى فى صواعقه، يقول:

وبعد تلك الأشهر الستة، سار إلى معاوية فى أربعين ألفاً، وسار إليه معاوية، فلمَّا تراءى الجمعان، علم الحسن أنَّه لن يغلب أحد الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فكتب إلى معاوية بخبر، أنَّه يصيّر الأمر إليه،

۱- معاوية، العقاد، صص ۳۶ و ۳۷.

ص:۱۲

على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء ممَّا كان أيام أبيه، وعلى أن يقضى عنه ديونه. فأجابه معاوية إلى [ما] طلب إلاَّ عشرة، فلم يزل يراجع حتى بعث إليه برقّ أبيض، وقال: اكتب ما شئت فيه، فأنا التزمه، كذا فى كتب السِّير.(۱)

هذه هى السير التى نقل منها ابن حجر، وللأسف نجد أنَّ مَن يأتى من بعده يعتمد هذا النقل الخالى من الموضوعية، فيتجنّى على التأريخ؛ فيحمّل الإمام الحسن (ع) مسؤولية الصلح وتسليم الأمر إلى معاوية، وإعطاءه قيادة الأُمَّة، وأنَّه كان يرغب فى التخلّى عن مركز الحكم، تهرُّباً من مسؤوليات الحرب؛ لأنَّه راغب للسّلم أكثر منه للحرب.

ولكنَّ هذا التبرير باطل جزماً؛ لأنَّ مواقف الإمام الحسن فى ميدان الحرب تشهد بفروسيته وبطولته، يقول كامل سليمان، واصفاً شجاعته:

فهو من أركان الحرب عند أبيه، ومن أُمراء جيشه، وهو منه ساعد قوى ومعوان عظيم، فأبوتراب يزحف وأولاده من حوله، يشدّون أزره، ويسندون ظهره، وكلّهم ليث قاصم الضربة.(۲)

والذى يؤكِّد هذا الكلام؛ مواقفه فى حرب الجمل وغيرها، فقد روى ابن شهر آشوب:

دعا أمير المؤمنين (ع) محمد بن الحنفية يوم الجمل، فأعطاه رمحه وقال له: اقصد بهذا الرمح قصد الجمل، فذهب فمنعوه بنو ضبة، فلمّا رجع إلى

۱- الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمى، ج۲، ص ۳۹۸.

۲- الحسن بن على، كامل سليمان، ص ۳۵.

ص:۱۳

والـده، انتزع الحسن رمحه من یـده، وقصـده قصـد الجمل وطعنه برمحه، ورجع إلی والده وعلی رمحه أثر الدم، فتمغَّر وجه محمد من ذلک، فقال أمیرالمؤمنین: لا تأنف، فإنَّه ابن النبی وأنت ابن علی.(۱)

فابن النبی (ص) لا یهاب تلک الجیوش، وتقدَّم برباطة جأش، لیُطیح بذلک الجمل، الذی یُعَدّ الرمز لتلک المعرکة.

إذن، فالتأریـخ - لمَن یتفحّصه بعین الباحث عن الحقیقـة - لم یُنصف الإمام الحسن (ع) فی هـذا الحـدث المهم والمفصـلی من تأریخ البشریة.

لذا سنلقی الضوء علی مجریات هذا الحدث التأریخی، وذلک من خلال ثلاثة فصول:

الأوَّل: قبسات من حیاة الإمام الحسن (ع) ، وخلافته وإمامته، مروراً ببیعته؛

الثانی: الصلح وأسبابه ونتائجه وثمراته؛

الثالث: دفع بعض الشبهات التی أُثیرت حول الصلح.

یحیی عبد الحسن هاشم / قم المقدسة

yahoo. com@yahya۱۱۹۶۸

۱- مناقب آل أبی طالب، ابن شهر آشوب، ج ۳، ص ۱۸۵.

ص:۱۴

ص:۱۵

الفصل الأوَّل: الإمام الحسن (ع)

اشاره

ص:۱۶

ص:۱۷

حياة الإمام الحسن المجتبى (ع)

نسبه وولادته

الحسن بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام السيد، ريحانة رسول الله (ص) وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد القرشى الهاشمى المدنى الشهيد.(۱)

وهو ثانى أئمَّة أهل البيت الطاهر، وأوَّل السبطين، وأحد الخمسة أصحاب العبا، أُمّه فاطمة بنت رسول الله (ص) ، سيدة نساء العالمين.(۲)

الولادة الميمونة وشَبَهه برسول الله (ص)

ولد فى النصف من شهر رمضان، فى السنة الثالثة من الهجرة؛ قاله ابن سعد وابن البرقى.(۳)

وقال السيد محسن الأمين:

۱- سير أعلام النبلاء، الذهبى، ج۳، ص۲۴۶.

۲- أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج۱، ص ۵۶۲.

۳- الإصابة، ابن حجر العسقلانى، ج ۲، ص ۶۰.

ص:۱۸

ولـد بالمدينـة ليلـة النصف من شـهر رمضان، على الصـحيح المشـهور بين الخاصـة والعامة، وقيل فى شـعبان، ولعلَّه اشـتباه بمولد أخيه الحسين (ع) سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة، وقيل غير ذلك، ولكنَّ المشهور الأثبت أحد هذين.(۱)

وعند ولادته المباركة عقَّ عنه رسول الله (ص) وتصدّق بوزن شـعره على المساكين. رُوى عن أبى رافع، قال: «لمَّا ولدتْ فاطمة حسـناً، قالت: يا رسول الله، ألا أعقّ عن ابنى بدم؟ قال: لا، ولكن احلقى رأسه، وتصدَّقى بوزن شعره فضة على المساكين، ففعلتْ» .(۲)

وروى ابن عباس: «أنَّ النبى (ص) عقَّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً» .(۳)

وأمَّا شبهه برسول الله (ص) ، فقد روى ابن حجر العسقلانى، عن عبدالله بن الزبير، قال:

أنا أحـدِّثكم بأشـبه أهله به وأحبَّهم إليه، الحسن بن على، رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال ظهره، فما يُنزله حتى يكون هو الذى ينزل، ولقد رأيته يجىء وهو راكع، فيفرج له بين رجليه، حتى يخرج من الجانب الآخر.(۴)

وقال الذهبى: «وكان يشبه جدَّه رسول الله (ص)» .(۵)

۱- أعيان الشيعة، ج۱، ص ۵۶۲.

۲- الإصابة، ج ۲، ص ۶۰.

۳- سير أعلام النبلاء، ج ۳، ص ۲۴۸.

۴- المصدر نفسه، ص ۲۴۹؛ الاصابة، ج۳، ص ۶۲.

۵- سير أعلام النبلاء، ج ۳، ص۲۴۶.

ص:۱۹

فضائله (ع)

مَن أحب الحسن والحسين، فقد أحبَّ الرسول، ومَن أبغضهم فقد أبغضه (ص) .

بلغ حبُّ رسول الله (ص) لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) الذروة، وليس هذا الحب نابعاً من عاطفة فقط، بل رُتِّب عليه الحبّ والبغض لله تعالى؛ لأنَّ مَن أحبّهم فقد أحبَّ الله (تعالى) ، ومَن أبغضهم فقد أبغض الله تبارك وتعالى.

روى ابن حجر عن أبى هريرة قال:

خرج علينا رسول الله (ص) ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرَّة وهذا مرَّة، حتى انتهى إلينا، فقال: من أحبَّهما فقد أحبَّنى، ومَن أبغضهما فقد أبغضنى.(۱)

وروى الشيخ المفيد عن النبى:

مَن أحبَّ الحسن والحسين (عليهما السلام) ، أحببته، ومَن أحببته أحبَّه الله، ومَن أحبَّه الله (عزّوجلَّ) أدخله الجنة، ومَن أبغضهما أبغضته، ومَن أبغضته أبغضه الله، ومَن أبغضه الله خلَّده فى النار.(۲)

وكذلك روى زهير بن الأقمر: «بينما الحسن بن على (ع) يخطب، بعدما قُتل على (ع) ، إذ قام رجل من الأزد آدم طوال، فقال: لقد رأيت رسول‌الله (ص) واضعه فى حبوته يقول: مَن أحبَّنى فليحبّه، فليبلِّغ الشاهد الغائب» . (۳)

وحسّن الترمذى حديث أسامة بن زيد؛ إذ قال:

۱- الإصابة، ج ۲، ص۶۲.

۲- الإرشاد، ج۲، ص۲۸.

۳- الإصابة، ج ۲، ص۶۲.

ص:۲۰

خرج رسول الله (ص) ليلة وهو مشتمل على شيء قلت: ما هذا؟ فكشف، فإذا حسن وحسين على وركيه، فقال: هذان ابناى وابنا بنتى، اللّهم إنّى أحبّهما فأحبّهما، وأحبّ مَن يحبّهما.(۱)

ولا يخفى أنَّ ذريته (ص) انحصرت بالحسن والحسين (عليهم السلام) ، وهما من الأربعة الذين باهل بهم رسول الله (ص) نصارى نجران. قال الحاكم:

قد تواترت الأخبار فى التفاسير، عن عبدالله بن عباس وغيره، أنَّ رسول‌الله (ص) أخذ يوم المباهلة بيد على وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم، ثُمَّ قال: هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا، فهلمّوا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم، ثُمَّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين.(۲)

والحسن (ع) من المطهَّرين المعصومين الذين أُذهب عنهم الرجس بشهادة آية التطهير، قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) . (الأحزاب: ۳۳)

ومن القربى الذين أمر الله بمودّتهم، قال تعالى: قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى . (الشورى:۲۳)

وأحد الثقلين الذين مَن تمسّك بهما نجا، ومَن تخلّف عنهما ضلّ وغوى، كما رواه مسلم بن الحجاج النيسابورى فى صحيحه، عن زيد بن أرقم، عن رسول الله (ص) :

وأنا تارك فيكم ثقلين، أوَّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثُمَّ قال:

۱- سير أعلام النبلاء، ج ۳، ص ۲۵۱.

۲- معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابورى، ص ۵۰.

ص:۲۱

وأهل بیتی، أذکّرکم الله فی أهل بیتی، أذکّرکم الله فی أهل بیتی، أذکّرکم الله فی أهل بیتی. . . . (۱)

وفی مسند أحمد: «إنّی تارک فیکم خلیفتین، کتاب اللّه حبل ممدود ما بین السماء والأرض - أو ما بین السماء إلی الأرض - وعترتی أهل بیتی، وإنّهما لن یتفرّقا حتی یردا علیَّ الحوض» .(۲)

۱- صحیح مسلم، مسلم النیسابوری، ج ۷، ص۱۲۳.

۲- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج۵، ص۱۸۲.

ص:۲۲

ص:۲۳

خلافة الإمام الحسن وإمامته

اشاره

من الضـرورى قبل أن نشرع فى ماهية الصلح وظروفه وأسبابه ونتائجه، أن نبيِّن أنَّ خلافة الإمام الحسن قد نصَّ عليها رسول الله (ص) ، الـذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحىٌ يُوحى فهو الخليفـة الشـرعى، سواء بايعه الناس أو لم يبايعوه، وكل فعل وتصرّف يصدر عنه فهو فى إطار الحق، الذى يجب على الأُمَّة أن تذعن له ولا تتخلَّف عنه، ولا يحق لمعاوية وغيره أن يتجاوز هذه النصوص التى بشّـر بها رسول الله وأميرالمؤمنين (عليهما أفضل الصلاة والسلام) .

ومن تلك النصوص ما رواه البخارى فى الصـحيح، فى كتاب الأحكام، عن جابر بن سـمرة، قال: «سمعت النبى (ص) يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال لى: إنَّه قال: كلّهم من قريش» .(۱)

۱- صـحيح البخارى، ج۸، ص۱۲۸. الحـديث لا تطبيق صـحيح له سوى ما تقول به الشـيعة فى إمامـة الاثنى عشـر؛ لـذا وقع علماء أهل السّـنه فى مسـيرة التطبيق والمصـداق لهـذا فى مصداق هذا الحديث، ووقعوا فى تناقض كبير عندما فسَّروه. وقد علّق الشـيخ محمود أبو ريّة على ما أورده السيوطى، قال: «أمّا السيوطى، فبعد أن أورد ما قاله العلماء فى هذه الأحاديث المشكلة، خرج برأيٍ غريب، نورده هنا تفكهـةً للقراء، وهو: وعلى هـذا فقـد وجـد من الاـثنى عشـر الخلفاء الأربعـة والحسن ومعاويـة وابن الزبير وعمر بن عبـدالعزيز، وهؤلاء ثمانيـة، ويحتمـل أن يضـمَّ إليهم المهـدى من العباسـيين؛ لأـنَّه فيهم كعمر بن عبـد العزيز فى بنى أُميـة، وكـذلك الظاهر، لما أوتيه من العدل، وبقى الاثنان المنتظران، أحدهما المهدى، لأنه من أهل بيت محمد! ولم يبيِّن المنتظر الثانى» . أضواء على السنة النبوية، محمود أبو رية، ص۲۳۵.

ص:۲۴

وهؤلاء الأئمَّة هويتهم أنَّهم من قريش، بل ومن بنى هاشم تحديداً، كما رُوى ذلك عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة: كنت مع أبى عند رسول الله (ص) فسمعته يقول: بعدى اثنا عشر خليفة، ثُمَّ أخفى صوته، فقلت لأبى: ما الذى [قال فى] أخفى صوته؟ قال: قال: كلّهم من بنى‌هاشم.(۱)

وجاء تفصيل رسول الله (ص) لهذا الحديث وبيان مصداقه، فى حديث اللوح المشهور، كما نقله الجوينى (۲)؛ شيخ الذهبى، عن جابر بن عبدالله

۱- ينابيع المودة، القندوزى الحنفى، ج۲، ص۳۱۵. وأما ترجمة القندوزى، فهو: سليمان بن خوجه إبراهيم قبلان الحسينى الحنفى القندوزى، فاضل، من أهل بلخ، مات فى القسطنطينية. له ينابيع المودَّة فى شمائل الرسول ص وأهل البيت. انظر: الأعلام، الزركلى، ج۳، ص ۱۲۵.

۲- ترجمه الذهبى فى معجم شيوخه، فهو تلميذه، وهذا أمر فى غاية الأهميّة؛ إذ غالباً ما يُتَّهم هذا الرجل بكونه شيعياً، وهذه تهمة باطلة لا أساس لها من الصحة، فالذهبى المتشدِّد يتلمذ على يديه، ويمدحه و يُطرى عليه، بكونه، الإمام الكبير وشيخ المشائخ، وأنّه ذو دين، قال: «إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبدالله بن على بن محمد بن حموية، الإمام الكبير المحدث، شيخ المشائخ، صدر الدين، أبوالجامع الخراسانى الجوينى الصوفى، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة، وسمع بخراسان وبغداد والشام والحجاز، وكان ذا اعتناء بهذا الشأن» . وقال فى تذكرة الحفاظ: «الإمام المحدِّث، الأوحد الأكمل، فخر الإسلام، صدر الدين، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الخراسانى الجوينى، شيخ الصوفية. . . وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء، حسن القراءة، مليح الشكل، مهيبا دينّاً صالحاً، مات سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة» . انظر: معجم شيوخ الذهبى، ج ۱، ص ۵۰؛ تذكرة الحفاظ، ج۴، ص ۱۵۰۶.

ص:۲۵

الأنصارى، فى صحيفة فاطمة (عليها السلام) ، حيث ذكر أسماءهم واحداً تلو الآخر، ونصَّ على إمامته. (۱)ومن النصوص أيضاً ما ورد عن رسول الله (ص) قوله: «الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا» .(۲)فأوجب لهما الإمامة بموجب القول، سواء نهضا بالجهاد، أو قعدا عنه، دعيا إلى نفسيهما، أو تركا ذلك.

وقال (ص) للحسين (ع) :

«أنت إمام، ابن إمام، أخو إمام» .(۳)

وقوله (ص) له ولأخيه الحسين:

«أنتما الإمامان، ولأُمِّكما الشفاعة» .(۴)

وأمّره أبوه أمير المؤمنين - منذ اعتل - أن يصلِّى بالناس، وأوصى إليه عند وفاته قائلاً:

يا بنى، أمرنى رسول الله أن أوصى إليك، وأن أدفع إليك كتبى وسلاحى، كما أوصى إلىَّ رسول الله ودفع إلىَّ كتبه وسلاحه، وأمرنى أن آمرك إذا حضرت الموت أن تدفع إلى أخيك الحسين. . . ثم أقبل على ابنه الحسن، فقال: يا بنى، أنت ولى الأمر وولى الدم.(۵)

فدلَّت وصية أمير المؤمنين إلى الحسن على إمامته، بحسب ما دلَّت وصية

۱- فرائد السمطين، الجوينى الشافعى، ج۲، صص ۱۴۱ ۱۳۶؛ الكافى، الكلينى، ج ۱، صص۵۲۷ - ۵۲۸.

۲- الإرشاد، المفيد، ج۲، ص ۳۰؛ الفصول المختارة، الشريف المرتضى، ص۳۰۳؛ ورواه من طرق أهل السنة، المولوى صديق حسن خان القنوجى، انظر: خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوى، ج ۴، ص ۳۰۴.

۳- الرسائل العشر، الشيخ الطوسى، ص ۹۸. ومن مصادر السنة رواه الشيخ البلخى، خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوى، ج ۴، ص ۳۰۴.

۴- الفصول المهمة فى معرفة الائمة، ابن الصباغ، ج ۱، ص۶۶۶؛ كشف الغمة، الأربلى، ج ۲، ص۱۲۹.

۵- الكافى، ج ۱، صص ۲۹۹ ۲۹۸.

ص:۲۶

رسول الله (ص) إلی أمیر المؤمنین علی إمامته من بعده.

إذن، فالنصوص جلیَّة واضحة فی إمامته وخلافته. ثُمَّ ننتقل فی تسلسل البحث إلی بیعته (ع) .

بیعته (ع)

(۱)

أوَّل خطاب وجَّهه الإمام الحسن (ع) للأُمَّة، بعد عودته وأهل بیته، بعد ما شُیِّع أمیر المؤمنین إلی قبره الطاهر؛ خرج عبدالله بن عباس(۲) إلی الناس وقال: إنَّ أمیر المؤمنین توفی، وقد ترک لکم خلفاً، فإن أحببتم خرج إلیکم، وإن کرهتم فلا أحد علی أحد، فبکی الناس وقالوا: بل یخرج إلینا.(۳)

فخرج الإمام الحسن (ع) ، فحمد الله وأثنی علیه، ثُمَّ قال:

لقد قبض فی هذه اللیلة رجل لا یسبقه الأوّلون بعملٍ، ولا یدرکه الآخرون، وقد کان رسول الله (ص) یعطیه رایته، فیقاتل وجبریل عن یمینه ومیکائیل عن یساره، فما یرجع حتی یفتح الله علیه(۴)، وما ترک علی أهل الأرض صفراء ولا بیضاء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطایاه، أراد أن یبتاع بها خادماً لأهله، ثُمّ قال: أیُّها الناس، مَن عرفنی فقد عرفنی، ومَن لم

۱- إنَّ بیعة الناس لیست شرطاً فی إمامة الإمام، وإنّما علی الناس أن یبایعوا مَن أرادته النصوص النبویة، ولا تصحّح الإمامیة بیعة غیره، ولا تقع من أحدهم إلّا اضطراراً. وقضت الظروف بدوافعها الزمنیّة، أن لا یبایع الناس من الأئمّة المنصوص علیهم إلّا الإمامین علیاً والحسن علیها السلام . انظر: صُلح الحسن، آل الراضی، ص ۵۴.

۲- الصحیح هو عبیدالله بن عباس؛ لأنَّ عبدالله بن عباس کان فی مکة، والمظنون أنّ اتحاد الأخوین أباً، وتشابه اسمیهما کتابة، هو الذی أثار الخطأ فی النسبة إلیهما. انظر: صُلح الحسن، آل الراضی، ص۱۰۵.

۳- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید، ج ۱۶، ص ۲۲.

۴- مسند أحمد، ج۱، ص ۱۹۹.

ص:۲۷

یعرفنی فأنـا الحسن بن علی، وأنـا ابن النبی، وأنـا ابن الوصـی، وأنا ابن البشـیر، وأنا ابن النـذیر، وأنا ابن الـداعی إلی الله بإذنه، وأنا ابن السـراج المنیر، وأنا من أهل البیت الـذی کان جبریل ینزل إلینا ویصـعد من عنـدنا، وأنا من أهل البیت الّـذین أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهیراً، وأنا من أهل البیت الّـذین افترض الله مودَّتهم علی کل مسـلم، فقال تبارک وتعالی لنبیه (ص) : (قُلْ لا أَسْـئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی وَ مَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِیها حُسْناً) ، فاقتراف الحسنة مودَّتنا أهل البیت.(۱)

ثُمَّ جلس فقام عبدالله بن عباس (رحمة الله) بین یدیه، فقال:

معاشـر الناس، هذا ابن نبیکم، ووصـی إمامکم، فبایعوه. فاستجاب له الناس وقالوا: ما أحبّه إلینا، وأوجب حقه علینا، وتبادروا إلی البیعة له بالخلافة، وذلک فی یوم الجمعة الحادی والعشرین من شهر رمضان، سنة أربعین من الهجرة. (۲)

وبعد أن بایعته الأُمَّة، خطب خطابه البلیغ، حیث وضع الأمور فی نصابها الصحیح، فألزم الناس الحجة، بأنَّ آل محمد هم أصحاب الحق الشـرعی، وأنَّهم الصـراط المسـتقیم، فهم حزب الله الغالبون، وهم عترة رسول الله، والأقربون إلیه من غیره، فیجب الطاعة والانقیاد لهم، ثمَّ حذّرهم من الإصغاء لهتاف الشیطان (ویقصد به معاویة) ؛ فإنّه لکم عدوّ مبین.

قال (ع) :

نحن حزب الله الغالبون، ونحن عترة رسوله الأقربون، ونحن أهل بیته

۱- المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیسابوری، ج۳، ص ۱۷۲.

۲- الإرشـاد، ج ۲، صص۸ - ۹؛ ینابیع المودّة، ج۲، صص۲۱۲۲۱۳؛ مقاتل الطالبیین، أبوالفرج الأصـفهانی، ص۳۳؛ شرح نهج‌البلاغة، ابن أبی الحدید المعتزلی، ج۱۶، ص ۳۰.

ص:۲۸

الطیّبون، ونحن أحد الثقلین الذین خلّفهما جدّی (ص) فی أُمّته، ونحن ثانی کتاب الله، فیه تفصیل کل شیء، لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه، فالمعول علینا تفسیره، ولا نتظنَّن تأویله، بل تیقَّنا حقائقه، فأطیعونا، فإنَّ طاعتنا مفروضة؛ إذ کانت بطاعة الله (عزَّوجلّ) وطاعة رسوله مقرونة، قال (جلَّ شأنه) : (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ) ، وقال عز وجل: (وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) ، واحذروا الإصغاء لهتاف الشیطان، فإنّه لکم عدو مبین.(۱)

سیاسة معاویة بعد بیعة الإمام الحسن (ع)

بعد أن تمت البیعة، قام الإمام (ع) بدوره فی إدارة الدولة الإسلامیة، فاختار العمال والولاة علی المناطق الإسلامیة، ورسم مُخطَّطاً لتنظیم شؤون الدولة، وإعداد مستلزمات إدارة النظام السیاسی فی الأُمّة.

قال أبو الفرج الاصفهانی:(۲)

۱- ینابیع المودة، ج۱، ص ۷۴.

۲- ترجمه الخطیب البغدادی قائلاً: «علی بن الحسین بن محمد بن أحمد بن الهیثم بن مروان بن محمد بن مروان بن الحکم بن أبی العاص، أبو الفرج الأموی، الکاتب المعروف بالأصبهانی. . کان عالماً بأیام الناس والأنساب والسیرة، وکان شاعراً محسناً، والغالب علیه روایة الأخبار والآداب، وصنَّف کتباً کثیرة، منها: الأغانی الکبیر و مقاتل الطالبیین . حدثنا التنوخی عن أبیه قال: ومن الرواة المتّسعین الذین شاهدناهم، أبوالفرج علی بن الحسین الأصبهانی، فإنّه کان یحفظ من الشعر، والأغانی، والأخبار، والآثار، والحدیث المسند. . . قال العلوی: وکان أبو الحسن البتی یقول: لم یکن أحد أوثق من أبی الفرج الأصبهانی. سمعت أبا نعیم الحافظ یقول: توفی أبوالفرج علی بن الحسین الأصبهانی الکاتب ببغداد، فی سنة سبع وخمسین وثلاثمائة» . انظر: تاریخ بغداد، الخطیب البغدادی، ج ۱۱، ص ۳۹۸.

ص:۲۹

ثُمَّ نزل من المنبر، فرتَّب العمال، وأمر الأمراء، ونظر فی الأمور، وأنفذ عبدالله بن العباس إلی البصرة. قال: وکان أوَّل شیء أحدثه الحسن [بن علی (ع)] أنَّه زاد المقاتلة مائة مائة، وقد کان علی (ع) أبوه فعل ذلک یوم الجمل، والحسن [(ع)] فعله علی حال الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعد ذلک.(۱)

وحین علم معاویة ببیعة الإمام، بدأت نوازع الشر والخداع تعتمل فی نفسه، لخلق جوٍّ من البلبلة وإشاعة الفتنة بین الناس، والغرض هو إضعاف الدولة الفتیة التی حکمها الإمام الشرعی، وإضعاف ثقة الناس بسیاسته وحکمته.

وأوَّل عمل قام به هو: إرسال الجواسیس إلی عاصمة الدولة الإسلامیة فی الکوفة، ومدینة البصرة ذات الثقل السیاسی والاجتماعی.

قال الشیخ المفید:

لمَّا بلغ معاویة بن أبی سفیان وفاة أمیر المؤمنین (ع) ، وبیعة الناس الحسن (ع) ؛ دسَّ رجلاً من حمیر إلی الکوفة، ورجلاً من بنی القین إلی البصرة، لیکتبا إلیه بالأخبار ویُفسدا علی الحسن (ع) الأمور.(۲)

ولکن خطة التآمر التی قادها معاویة فشلت، وأحبط الإمام الحسن هذا المخطَّط الخبیث.

قال الشیخ المفید (رحمة الله) :

فعرف ذلک الحسن (ع) ، فأمر باستخراج الحمیری من عند حجام

۱- مقاتل الطالبیین، ص ۳۴؛ أعیان الشیعة، ج ۱، ص ۵۷۶.

۲- الارشاد، ج۲، ص ۹.

ص:۳۰

بالكوفة، فأُخرج، فأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة فاستُخرج القينى من بنى سليم وضُربت عنقه.(۱)

وبعد أن رأى الإمام أنَّ منهج معاوية يقوم على الخديعة والمكر، أرسل له خطاباً شديد اللهجة، يعلن فيه استعداده لخوض الحرب ضدَّ جبهة التمرّد التى بدأها معاوية.

تبادل الرسائل بين الإمام الحسن (ع) ومعاوية

وارسل الامام رسالة للمعاوية وجاء فى الخطاب:

أمَّا بعد، فإنَّك دسست إلىّ الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون، كأنَّك تحب اللقاء، وما أشك فى ذلك، فتوقعه إن شاء الله، وقد بلغنى أنك شمتّ بما لا يشمت به ذوو الحجى، وإنَّما مثلك فى ذلك كما قال الأوَّلون:

وقل للذى يبغى خلاف الذى مضى

تجهزّ لأخرى مثلها فكأنّ قد

وأنا و من قد مات منّا لكالذى

يروح فيمسى فى البيت ليفتدى(۲)

ولو تأمَّلنا بمفردات هذه الرسالة، نجد أنَّ الإمام (ع) قد درس شخصية معاوية بصورة دقيقة، فهو ذلك الرجل المحتال والغادر، وهو لايشك طرفة عين أنَّ معاوية يريد الحرب؛ لذا صرَّح بوضوح تام (وما أشك فى ذلك) ، فأراد الإمام أن يُبرز جانب القوة فى وجه معاوية ودسائسه. ومن جهة أخرى، أراد (ع) أن يمتلك زمام المبادرة فى تقرير الحرب، فى قوله (فتوقّعه إن

۱- الارشاد، ج۲، ص ۹.

۲- مقاتل الطالبين،ص ۴۳۳؛ شرح نهج البلاغه، ابن ابى الحديد، ج۱۶،ص ۳۱

ص:۳۱

شاء الله) ؛ لكى يزرع الثقة فى جيشه وأصحابه، وفى هذا الفعل عزّة الإسلام وقوته.

لـذا جاء جواب معاويـة على رسالة الإمام الحسن خالياً من الإثارة، ونلمس فيه التملُّق للإمام وإبعاد نفسه عن قضيـة إرسال الجواسـيس.

ونص ما كتبه معاوية:

أمَّا بعد، فقد وصل كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث، فلم أفرح، ولم أشـمت، ولم أيأس، وأنَّ على بن أبى طالب كما، قال اعشى بن قيس بن ثعلبة:

وأنت الجواد وأنت الـذى إذا مـا القلوب ملأـن الصـدورا و ما مزيـد من خليـج البحور يعلو الأكام و يعلو الجسورا بأجود منه ممّا عنـده فيعطى الألوف و يعطى البدورا(۱)

وهـذا الأسـلوب كان متوقعاً من معاويـة، فأغفل أو تغافل أنَّ الإمام مطّلعٌ على مجريات الأحداث، وما هى العقلية و النوايا العدوانية التى قـد يرتكبها معاويـة فيما بعد، لذا بعث له الإمام برسالة ثانية، فصَّل فيها الموقف الشـرعى من ولاية المسـلمين، وأنَّه الأولى بها منه ومن غيره (۲)، كما بيّن فيها فضائل

۱- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الاصفهانى، ص ۳۴.

۲- ونرى فى مجمـل رسائل الإمام ع أنَّه يكرِّر على معاويـة حقه فى الإمامـة والخلافـة، وأنّه تجب الطاعـة له - وهو يعلم أنّ معاويـة لا يلتزم بكـل كلام وإن جـاء بالـدليل والبرهـان. والغرض واضـح، وهو أنَّ الإمـام يريـد أن يُفهم ويُـذكّر الأُمّـة من خلال هـذه الرسائل الاعلاميـة، أنّ معاويـة قد ذمّه رسول‌الله ص فى كثير من أحاديثه، وتتبّأ فى غصبه للخلافة، فخلافته غير شـرعية، وسـيرته غير مسـتقيمة، ولابـد من الحـذر منه، لأـنّه يسـلك بكم الطريـق المنحرف عن الاسـلام. وقـد ذكر الشـيخ حسن بن فرحـان المـالكى جملـة من هـذه الاحاديث وصـحّحها، نذكر منها: حديث «إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه» . روى عن عدد من الصـحابة، منهم أبى‌سـعيد الخدرى وابن مسـعود وغيرهما، وأقل أحوال هـذا الحـديث الحسن.حـديث عبدالله بن عمرو بن العاص «يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتى - وفى لفظ: على غير سـنتى - فطلع معاوية، وقال النبى ص» والحديث رواه البلاذرى بسـند صحيح، رجاله ثقات أثبات، وصـحَّح بعض متابعاته الـدكتور جاسم المشـهدانى جامعـة أم القرى .حـديث أبى ذر وغيره «أوّل مَن يغير سـنتى رجل من بنى أميـة» . الحديث صـحيح الإسـناد وقد صـححه الألبانى وألمح إلى أنّه معاوية. انظر: حسن بن فرحان المالكى، مع عبدالله السـعد، صص ۱۹۱ - ۱۹۳.

ص:۳۲

أهل‌البيت (عليهم السلام) وحقوقهم، وضمّن الرسالة تهديداً لمعاوية، وتحذيره من التمادى فى غيّه وشقّ وحدة الصف الإسلامى، و امره بحفظ دماء المسلمين.

وهذا نصّ الرسالة، كما يرويها أبوالفرج الأصفهانى وابن أبى الحديد:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان، سلام عليك، فإنّى أحمد الله الذى لا إله إلّا هو، أمّا بعد، فإنَّ الله تعالى عز وجل بعث محمداً (ص) رحمة للعالمين، ومنَّة على المؤمنين وكافة إلى الناس أجمعين؛ ليُنذر مَن كان حياً ويحقّ القول على الكافرين، فبلَّغ رسالات الله وقام على أمر الله، حتى توفّاه الله غير مقصر ولا وان، حتى أظهر الله به الحق، ومَحَقَ به الشرك، ونصر به المؤمنين، وأعز به العرب، وشرّف به قريشاً خاصة، فقال تعالى: وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ ، فلمّا توفى (ص) تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد فى الناس وحقه، فرأت العرب أنَّ القول كما قالت قريش، وأنَّ الحجة لهم فى ذلك على مَن نازعهم أمر محمد (ص) ، فأنعمت لهم العرب وسلّمت ذلك، ثُمَّ حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاجت به العرب، فلم تنصفنا قريش

ص:۳۳

إنصاف العرب لها، إنَّهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولى النصير.

وقد تعجَّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا فى حقِّنا وسلطان نبيّنا (ص) ، وإن كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم، مخافة على الدين؛ أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده.

فاليوم فليعجب المتعجِّب من توثّبك يا معاوية على أمرٍ لست من

أهله، لابفضل فى الدين معروف، ولا- أثر فى الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله (ص) ! ولكنَّ الله خيَّبك.

سترد فتعلم لمَن عُقبى الدار، تالله لتلقينَّ عن قليل ربك، ثُمَّ ليجزينّك بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد.

إنّ علياً (رضوان الله عليه) لمّا مضى لسبيله (رحمة الله عليه) ، يوم قُبض، ويوم منَّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً، ولّانى المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله أن لا يزيدنا فى الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به فى الآخرة ممّا عنده من كرامته، وإنَّما حملنى على الكتاب إليك الإعذار فيما بينى وبين الله سبحانه وتعالى فى أمرك، ولك فى ذلك إن فعلت الحظ الجسيم، وللمسلمين فيه صلاح، فدع التعادى فى الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فإنَّك تعلم أنّى أحق بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أوَّاب حفيظ، ومَن له قلب منيب، واتَّقِ الله، ودع البغى، واحقن دماء المسلمين، فو الله مالك من خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممَّا أنت

ص:۳۴

لاقيه به، فادخل فى السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومَن هو أحقّ به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، وتُجمع الكلمة وتصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلّا التمادى فى غيِّك، نهدت إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين.(۱)

صدع الإمام الحسن (ع) بكلمة الفصل - بعد أن أعطاه الدلائل والبراهين على أحقيته بالولاية - وهى أن يدخل معاوية فى السلم والطاعة، وأن لاينازع الأمر أهله ومَن هو أحقّ به منه.

وجاء جواب معاوية متلبّساً بمسوح الإسلام، ومغطِّياً نفسه بجلباب الرعيّة، ليتحدَّث باسم الإسلام، قال:

قد بلغنى كتابك، وفهمت ما ذكرت به محمداً رسول الله من الفضل، وهو أحقّ الأولين والآخرين بالفضل كلّه، قديمه وحديثه، وصغيره وكبيره، وقد والله بلّغ وأدّى، ونصح وهدى، حتى أنقذ الله به من الهلكة وأنار به من العمى، وهدى به الجهالة والضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أُمَّته. . . . وذكرت وفاته وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلبهم على أبيك، فصرّحت بتهمة أبى بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبى عبيدة الأمين، وحوارى رسول‌الله، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، وإنّك أمرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين، ولاالمُسىء ولا اللئيم، وأنا أحبّ لك القول السديد والذكر الجميل، وإنَّ هذا الأُمّة لمّا اختلفت بينها لم تجهل فضلكم، ولاسابقتكم ولا قرابتكم من نبيّكم، ولا مكانكم فى الإسلام وأهله، فرأت الأُمّة أن تخرج من هذا

۱- مقاتل الطالبيين، صص ۳۵ و ۳۶؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج۱۶، صص ۳۳ و۳۴.

ص:۳۵

الأمر لقريش، لمكانها من نبيّها، ورأى صلحاء الناس من قريش، والأنصار وغيرهم، وسائر الناس وعوامها، أن يولّوا من قريش هذا الأمر أقدمها إسلاماً وأعلمها بالله، وأحبّها وأقواها على أمر الله، فاختاروا أبابكر، وكان ذلك رأى ذوى الدين، والفضل، والناظرين للأُمّة، فأرفع ذلك فى صدوركم لهم التهمة، ولم‌يكونوا متَّهَمين، ولا فيما أتوا بالمخطئين، ولو رأى المسلمون أنّ فيكم من يُغنى غناءه ويقوم مقامه، ويدبّ عن حريم الإسلام دبّه، ما عدلوا بالأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنَّهم عملوا فى ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

وقد فهمت الذى دعوتنى إليه من الصلح، والحال فيما بينى وبينك اليوم مثل الحال التى كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبى، فلو علمت أنَّك أضبط منّى للرعية، وأحوط على هذه الأُمّة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو، لأجبتك إلى ما دعوتنى إليه، ولو رأيتك لذلك أهلاً لسلَّمت لك الأمر بعد أبيك، فإنّ أباك سعى على عثمان، حتى قتل مظلوماً فطالب الله بدمه، ومَن يطلبه الله فلن يفوته، ثُمَّ ابتز الأُمّة أمرها، وخالف جماعتها، فخالف نظراءه من أهل السابقة والجهاد، والقدم فى الإسلام، وادَّعى أنّهم نكثوا بيعته، فقاتلهم، فسُفكت الدماء، واستحلَّت الحرم، ثُمَّ أقبل إلينا لا يدّعى علينا بيعة، ولكنَّه يريد أن يملكنا اغتراراً، فحاربناه وحاربنا، ثُمّ صارت الحرب، إلى أن اختار رجلاً واخترنا رجلاً، ليحكما بما يصلح عليه، وتعود به الجماعة والألفة، وأخذنا بذلك عليهما ميثاقاً، وعليه مثله، على الرضا بما حكما، فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت وخلعاه، فوالله ما رضى بالحكم، ولا

ص:۳۶

صبر لأمر الله، فكيف تدعونى إلى أمرٍ إنَّما تطلبه بحقِّ أبيك وقد خرج؟ ! فانظر لنفسك ولدينك. . . وقد علمت أنّى أطول منك ولايةً، وأقدم منك بهذه الأُمَّة تجربةً، وأكبر منك سناً، فأنت أحقّ أن تجيبنى إلى هذه المنزلة التى سألتنى، فادخل فى طاعتى. . . أعاننا الله وإيّاك على طاعته، إنّه سميع مجيب الدعاء.(۱)

ولو نظرنا بعين الإنصاف لكلمات معاوية، لوجدناها فارغة مفضوحة، عارية عن الصدق، ويكفى أن ندلّل على ذلك: فقوله: (إنَّ الأُمّة اجتمعت على أبى بكر واختارته. . .) ، إذا كان كذلك، أَوَ لَمْ تجتمع الأُمّة على الإمام على (ع) ، فلماذا شهَر سيف البغى ضدّه، وأعلنها حرباً على الدولة الإسلامية، حتى قُتل أصحاب رسول الله (ص) ، كعمار بن ياسر، الذى قال عنه رسول‌الله (ص) : «يا عمار، تقتلك الفئة الباغية. . .» ؟ ! (۲)ثُمَّ لماذا يطلب معاوية البيعة من الإمام الحسن (ع) وقد بايعته الأُمَّة وسلَّمته زمام أمورها؟ ! ثُمَّ إذا كانت جبهة الشام لم تبايع الإمام الحسن (ع) ، فهى أيضاً لم تبايع ولم تدن فى يوم من الأيام سلطة الخلفاء السابقين، منذ ولاية معاوية عليها فى عهد الخليفة الثانى عمر.

فأيَّة ولاية يتشبَّث بها معاوية، وهى إنَّما كانت بئس الولاية وبئس التجربة، أراد منها زعامة سياسية وثاراً جاهلياً، وطمعاً شخصياً، وملكاً قبلياً؟ ! (۳)

۱- مقاتل الطالبيين، صص ۳۶ و ۳۷؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج۱۶، ص ۳۶.

۲- صحيح مسلم، ج۸، ص۱۸۶؛ سنن الترمذى، ج۵، ص ۳۳۳.

۳- انظر: الإمام الحسن القائد والتأريخ، الأحمد فؤاد، ص ۵۱.

ص:۳۷

قال الدكتور أحمد رفاعى فى كتابه (عصر المأمون) :

إنَّ هـذه الرسالـة حوت بعض المغالطات؛ فقـد جاء فيها": إنَّ هذه الأُمَّة لمّا اختلفت بينها لم تجهل فضـلكم، ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من نـبيكم. . الـخ. "ومن يتتبَّع الأحـداث الـتى وقعت بعـد وفـاة النـبى (ص) عرف أنَّ العـترة الطـاهرة واجهت بعـد النـبى أشـقّ المحن والخطوب؛ فإنَّ الجرح لمَّا يندمل، والرسول عليه الصـلاة والسـلام لمّا يُقبَر، اسـتبدَّ القوم بالأمر، وعقدوا اجتماعهم فى السقيفة، وتغافلوا عترة نبيّهم، وكان لهـذا كله الأثر الـذى ظهر بعد خمسـين عاماً من وفاة الرسول (ص) ، فى موكب جهير يجوب البيداء من بلد إلى بلد وهم يحملون رؤوس أبنائه على أطراف الرماح.(۱)

آخر رسالة وجّهها الإمام الحسن لمعاوية

بعد أن رأى الإمام الحسن (ع) الإصـرار من معاوية على عدم الانصـياع لولايته، وأنّه سـيخدع الأُمّة بأمورٍ هى بعيدة عن روح الإسلام – لأنّه سـيطرح نفسه البـديل الشـرعى لمنصب الخلافـة – بل يعلم أنَّ معاويـة سـيُقدم على حربه، آجلاً أم عاجلاً؛ وجـد أنَّه لا مناص من الحرب، وإعداد العدّة لهذا اليوم، الذى سيكون المفترق بين الحق والباطل.

لذا جاء جواب الإمام سريعاً:

«أمَّا بعد، فقد وصل إلىّ كتابك، تذكر فيه ما ذكرت، وتركت جوابك خشية البغى عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتّبع الحق تعلم أنّى من أهله، والسلام» .(۲)

وبهذا يطوى الإمام (ع) لغة الحوار التى لا تُجدى مع ما يبيّته معاوية من

۱- انظر: الحسن بن على، توفيق أبو العلم، صص ۱۳۷و ۱۳۸.

۲- مقاتل الطالبيين، ص۳۸؛ أعيان الشيعة، ج۱، ص ۵۶۸.

ص:۳۸

طُرق ملتويـة ومتعسّـفة؛ فأسـلوب التفاوض بالّتى هى أحسن لا ينفع، طالما يرى أن الخصم لا يؤمن بهذه اللغة، لذا انتقل الإمام إلى لغة أخرى يفهمها معاوية، وهى لغة الحرب.

معاوية يعبّئ الناس لقتال الإمام الحسن (ع)

بعد وصول كتاب الإمام الحسن لمعاوية، كتب إلى عماله على النواحى نسخة واحدة:

أمّا بعـد، فالحمـد لله الذى كفاكم مؤونة عدوّكم، وقتلة خليفتكم. إنَّ الله بلطفه وحُسن صـنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلاً من عباده، فاغتـاله فقتله، فترك أصـحابه متفرّقين مختلفين، وقـد جاءتنـا كتب أشـرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسـهم وعشائرهم، فاقبلوا إلىَّ حين يأتيكم كتابى هذا، بجدّكم وجهدكم وحسن عدّتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغى والعدوان، والسلام.

فاجتمعت العساكر إلى معاوية، وسار قاصداً إلى العراق.(۱)

والـذى يُلفت النظر فى هـذه الرسالـة، أنَّ معاويـة ينسب البغى والعـدوان للإمام على (ع) ، مع أنَّ معاوية وجنوده هم الباغون، وقد قتلوا الصحابى الجليل عمار بن ياسر، وقد تقدم مارواه مسلم فى حديث ان عماراً تقتله الفئة الباغية.(۲)

وهذا ما توقّعه الإمام الحسن (ع) طيلة مراسلاته مع معاوية، لذا أوقف

۱- أعيان الشيعة، ج۱، ص ۵۶۸؛ مقاتل الطالبيين، ص ۳۸؛ الغدير، ج۱۰، ص ۲۹۱.

۲- صحيح مسلم، ج۸، ص۱۸۶؛ سنن الترمذى، ج۵، ص۳۳۳.

ص:۳۹

الإمام هذه المراسلات وبدأ بالتعبئة العسكرية العامة، وتثوير الشعب وتشجيعه، وتكتيل الطاقات فى الداخل للاستعداد، لمجابهة معاوية ومعسكره فى الشام.

لامناص من الحرب

قام الإمام الحسن بالتهيئة العسكرية لخوض غمار الحرب، فبعث حجر بن عدى يأمر العمّال والناس بالتهيؤ للمسير، ونادى المنادى الصلاة جامعة، فاقبل الناس يتوثّبون ويجتمعون، فقال الحسن (ع) : إذا رضيت جماعة الناس فاعلمنى، وجاء سعيد بن قيس الهمدانى فقال: اخرج، فخرج الحسن (ع) ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال:

أمَّا بعد، فانَّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمَّاه كرهاً، ثُمَّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين اصبروا، إنَّ الله مع الصابرين، فلستم أيُّها الناس نائلين ما تحبّون إلّا بالصبر على ما تكرهون. إنّه بلغنى أنَّ معاوية بلغه أنَّا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرَّك لذلك، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة، حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا. (۱)

الكوفة ومجتمعها الممزوج بعدَّة اتّجاهات

اشاره

الكوفة التى تعدّ المعقل الرئيس لجيش الإمام، هذه المدينة التى تمتلك تركيباً مزيجاً وخليطاً من عدّة اتجاهات ممّا ينعكس سلباً على مُجريات الأحداث. وهذه الاتجاهات يمكن تقسيمها إلى عدّة فئات:

۱- مقاتل الطالبيين، ص ۳۹؛ شرح نهج البلاغة، ج ۱۶، ص ۳۸.

ص:۴۰

۱. الخوارج

وهم الخارجون عن طاعة الإمام على (ع) ، والذين حاربوه وناوئوه ونصبوا له العداوة. وقد وجدوا فى الإمام الحسن (ع) حلّاً وسطاً لمحاربة معاوية، وهذه الفئة تستثيرها أدنى شبهة عارضة، فتتعجّل الحكم عليها (أى على الشبهة) .

۲. الفئة الممالئة للحكم الأموى، وهى على قسمين

أ- الذين لم يجدوا فى حكومة الكوفة ما يشبع نهمهم، ويروى ظمأهم فيما يحلمون به من مطامع، فأضمروا ولاءهم للشام، مترقّبين سنوح الفرصة للوثوب على الحكم، وتسليم الأمر لمعاوية.

ب - وهم الذين حقدوا على حكومة الكوفة، لضغائن فى نفوسهم أورثتها العهود السالفة، أو حساباتٌ شخصية.

۳. الفئة الترددة المذبذبة

وهى التى ليس لها مسلك معيّن أو مهمّة خاصة مستقلّة، وإنّما هدفها ضمان السلامة، وبعض المطامع عند الجهة التى ينعقد لها النصر. . فهى تترقَّب عن كثب إلى أى جهة يميل ميزان القوة لتميل معه.

۴. الفئة الهمجية الغوغائية

وهى الفئة التى لا تستند فى موقفها إلى أساس، بل هم أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح. قال على (ع) فى صفة الغوغاء هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا و إذا تفرقوا لم يُعرفوا.(۱)

۱- نهج البلاغه، ص۵۰۴.

ص:۴۱

۵. الفئة المؤمنة المخلصة

وهى القليلة الخيّرة، التى يذوب صوتها فى زحام الأصوات الأخرى المعاكسة لها (۱)هذه هى أحوال الكوفة؛ لذا عندما خاطبهم الإمام (ع) سكتوا، فما تكلَّم منهم أحد، ولا أجابه بحرف، فلمّا رأى ذلك عدى بن حاتم، قام فقال:

أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيّكم؟ ! أين خطباء مُضر. . . الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدعة، فإذا جدَّ الجدّ فروّاغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها. (۲)

خذلان الجيش وتفرّقه عن الإمام الحسن (ع)

أضف إلى ذلك أنَّ الجيش وقادته قد تخاذلوا عن الإمام؛ ممَّا أدّى ذلك إلى الهزيمة النفسية والعسكرية. قال ابن الأثير، وهو يروى قصة تفرّق جيش الإمام الحسن عنه وخذلانهم له:

فلمَّا نزل الحسن المدائن، نادى مناد فى العسكر: ألا إنَّ قيس بن سعد قُتل فانفروا، فنفروا بسرداق الحسن، فنهبوا متاعه، حتى نازعوه بساطاً

۱- قال الشيخ المفيد: «واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثُمَّ خفّ معه أخلاط من الناس، بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام ، وبعضهم محكمة يُؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع فى الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية، اتَّبعوا رؤساء قبائلهم، لايرجعون إلى دين» . الإرشاد: ج۲، ص۱۰؛ وانظر: صلح الإمام الحسن - الأسباب والنتائج، جواد فضل الله، صص۸۴ و ۸۵.

۲- مقاتل الطالبيين، ص۳۹؛ شرح نهج البلاغة، ج۱۶، ص ۳۹؛ أعيان الشيعة، ج۱، ص ۵۶۸.

ص:۴۲

كان تحته، فازداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً، . . . فلمَّا رأى الحسن تفرُّق الأمر عنه، كتب إلى معاوية. . . .(۱)

معاوية يشترى الذمم بالمال

وقد استخدم معاوية دهاءه فى شراء ذمم قواد الجيش، ومنهم عبيدالله بن العباس، حيث هدَّده معاوية ورغَّبه بأن يهب له الأموال عند مجيئه إليه وتركه جيش الإمام الحسن (ع) . قال الاصبهانى وابن أبى الحديد:

[أن معاوية] أرسل إلى عبيدالله بن العباس أنَّ الحسن قد راسلنى فى الصُلحِ وهو مُسلِّم الأمر إلىَّ، فإن دخلت فى طاعتى الآن كنت متبوعاً، وإلّا دخلت وأنت تابع، ولك إنْ جئتنى الآن أن أُعطيك ألف ألف درهم، يُعجّل لك فى هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر. فانسلَّ عبيدالله ليلاً فدخل عسكر معاوية، فوفى له بما وعده. . . .(۲)

وكذلك ما رواه السيد محسن الأمين فى أعيان الشيعة:

إنَّ الحسن (ع) بعث إلى معاوية قائداً من كندة فى أربعة آلاف، فلمّا نزل الأنبار، بعث إليه معاوية بخمسمائة ألف درهم، ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة، فصار إليه فى مائتين من خاصته، ثُمَّ بعث رجلاً من مراد، ففعل كالأوَّل، بعد ما حلف بالأيمان التى لا تقوم لها الجبال أنَّه لايفعل، وأخبرهم الحسن (ع) أنَّه سيفعل كصاحبه.(۳)

۱- الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج۳، صص ۴۰۴- ۴۰۵؛ أعيان الشيعة، ج۱، ص۵۶۹؛ النصائح الكافية، ص ۱۹۲.

۲- مقاتل الطالبيين، ص ۴۲.

۳- أعيان الشيعة، ج ۱، ص ۵۶۹.

ص:۴۳

فبدأ الجيش بالتخاذل، إلى أن وصل الأمر إلى أنَّ أحد عناصر جيشه طعنه واتَّهمه بالشرك، وذلك حينما قام إليه رجل من بنى أسد، من بنى نصر بن قعين، يقال له الجراح بن سنان، فلمّا مرّ فى مظلم ساباط، قام إليه فأخذ بلجام بغلته وبيده معول، فقال: الله أكبر يا حسن، أشركت كما أشرك أبوك من قبل، ثُمَّ طعنه، فوقعت الطعنة فى فخذه، فشقَّته حتى بلغت اربيته، فسقط الحسن إلى الأرض، بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده، واعتنقه وخرَّا جميعاً إلى الأرض.(۱)

استمالة معاوية لرؤساء القبائل

بل إنَّ هناك جماعة من رؤوس القبائل مَن كاتبَ معاوية بالطاعة له فى السر، وضمنوا له تسليم الإمام الحسن عند وصوله إليهم. قال الشيخ المفيد:

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له فى السر، واستحثُّوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن (ع) إليه عند دنوّهم من عسكره، أو الفتك به، وبلغ الحسن ذلك.(۲)

وهذا يدلّ على أنَّ معاوية قد نجح فى زعزعة أركان جيش الإمام بأساليب وألوان مختلفة، منها: (الأموال، والكذب، والإشاعات) ، بحيث استمال قواد الجيش والقبائل.

ووجد معاوية الأرض الخصبة التى تتقبَّل هذه العروض؛ نتيجةً لعدم إيمان الأُمّة نفسياً وعقائدياً بما يمثّله الإمام من امتدادٍ للرسالة، وسنخاً للنبوة

۱- مقاتل الطالبيين، ص ۴۱؛ الإرشاد، ج۲، ص۱۲.

۲- الإرشاد، ج۲، ص ۱۲.

ص:۴۴

علماً وعملاً وتطبيقاً.

إذن، معاوية نجح فى رسم الخطة التى حاكها، من خلال استمالة بعض النفوس من أفراد ورؤساء جيشه (ع) ، لذا لم يجد الإمام بُداً إلّا بالتسليم لواقعٍ فرضته تلك المعادلة الظالمة.

ولكنَّ الإمام لم يترك تلك المعادلة تسير وفق أهواء معاوية؛ لذا قام بخيرِ مشروعٍ يكشف من خلاله سياسة معاوية الرعناء فى تولّيه لخلافة رسول‌الله (ص) ، وهو قبوله لمبدأ الصُلح، وهذا ما سوف نتكلَّم عنه فى الفصول اللاحقة.

ولكن قبل ذلك لابدّ أن نوضِّح سياسة الإمام الحسن فى مقابل سياسة معاوية الآنفة الذكر، والقائمة على الغدر وعدم العدل، بل والقتل والمطامع الشخصية، لتثبيت أركان دولته وسلطته بأىِّ ثمنٍ كان.

خلاصة سياسة الإمام الحسن (ع)

فى قِبال سياسة معاوية الملتوية، نجد أنَّ سياسة البيت العلوى قائمة على التعقُّل والعدل والإنصاف، وعدم المداهنة والمراوغة، وهذه السياسة شيّد أركانها الإمام على (ع) ، فلو عدنا وأخذنا بعض تلك النماذج من سياسته مع خصومه، التى تشدِّد النكير على الغدر والمكر لاتّضح ذلك، فقال عليه السلام، ناقداً لهذه الصفة الذميمة، فى إحدى خطبه:

أيُّها الناس، إيّاكم والخديعة؛ فإنَّها من خُلق اللئام، تصفية العمل أشدّ من العمل، وتخليص النية من الفساد أشدّ على العاملين من طول الجهاد، هيهات، لولا التُقى لكنت أدهى العرب.(۱)

۱- روائع نهج البلاغة، جورج جرداق: ص ۹۰.

ص:۴۵

وقوله (ع) :

والله ما معاويـة بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر، لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكلِّ غادر لواء يُعرَف به يوم القيامة. والله ما استغفل بالمكيدة، ولا استغمز بالشديدة. (۱)

وكذلك رفضه (ع) أى نوع من التملُّق أو التقرّب للحاكم الإسـلامى، وخير مثال رسمَه أمير المؤمنين (ع) هو تأنيبه وردعه للأشعث بن قيس حين قُدّمت له هديـة بسيطة. وفى عُرفنا الحالى - لعلّها - لا تعـدّ ذات قيمـة، ولكنَّ الإمام يراها كبيرة، وكبيرة جـداً، فجاء جوابه مُفحماً لهذا الرجل، حيث قال له:

وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفـة فى وعائها، ومعجونة شـنئتها، كأنَّما عُجنت بريق حية أو قيئها، فقلت: أصـلة أم زكاة أم صدقة، فـذلك محرم علينـا أهـل البيت؟ ! فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنّها هديـة. فقلت: هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتنى لتخـدعنى، ا مختبط أنت أم ذو جنة أم‌تهجر؟ ! والله لو أعطيت الأقاليم السبعة، بما تحت أفلاكها، على أن أعصـى الله فى نملةٍ أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإنَّ دنياكم عنـدى لأهون من ورقـة فى فم جرادة تقضـمها، ما لعليٍّ ولنعيم يفنى ولذةٍ لاتبقى، نعوذ بالله من سـبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين.(۲)

والإمام الحسن سار على نفس مقرَّرات أبيه فى الحكم والتعامل مع الأُمّة،

۱- شرح نهج البلاغة، ج ۱۰، ص ۲۱۱.

۲- نهج البلاغة، محمد عبده، ج ۲، ص۲۱۸.

ص:۴۶

فلم يُقرّ أى وسيلة تخالف المنهج الإسلامى الذى رسمه أبوه فى التعامل مع الأحداث، صغيرةً كانت أو كبيرة؛ لذا عندما خاطب شيعته بعد الصلح، ذكّرهم بهذا المنهج، وهو أنَّه لو كان يعمل للدنيا، ما كان معاوية بأشدّ حزم وشكيمة منه، ولكنَّ الإمام يسير وفق المصلحة والحكمة. قال:

أمَّا بعد، فإنّكم شيعتنا وأهل مودّتنا، ومَن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم، ولو كنت بالحزم فى أمر الدنيا، وللدنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبأس منّى بأساً، وأشدّ شكيمة، ولكان رأيى غير ما رأيتم، ولكنّى أشهد الله وإيّاكم أنّى لم أرد بما رأيتم إلّا حقن دمائكم، وإصلاح ذات بينكم. . . .(۱)

من هنا نفهم قول رسول الله (ص) حينما وصف الإمام (ع) أنَّه: «لو كان العقل رجلاً لكان الحسن» . (۲)

وهكذا سار الإمام الحسن (ع) ، على تطبيق المُثل والخلق الإسلامى الذى تربّى عليه، فلو كان يعمل للدنيا، وسلك مسلك مَن يطلب الحكم والسلطان، واستعمل ما كان يفعله معاوية، من إنفاقٍ للمال، وأساليب الترهيب والترغيب بما يملكه، وهو الحاكم آنذاك على المملكة الإسلامية برمَّتها؛ عندئذ لتغيَّرت مجريات الأحداث لصالحه، وما كانت حظوظ معاوية ناجحة فى مُجريات الأحداث.

۱- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج۱، ص ۱۴۱.

۲- فرائد السمطين، الجوينى، ج۲، ص ۶۸.

ص:۴۷

الفصل الثانی: صُلح الإمام الحسن (ع)

اشارة

ص:۴۸

ص:۴۹

تمهید

من المهمّ قبل الدخول فی شرح مضامین الصلح، أن نذکر أمراً فی غایة الأهمیة، وهو أنَّ الصلح جاء طلباً من معاویة، وقد أبرز الإمام هذه الحقیقة فی الخطاب الذی ألقاه فی المدائن، قائلاً:

ألا ـ وإنَّ معاویة دعانا إلی أمر لیس فیه عزّ ولا ـ نصفة، فإن أردتم الموت رددناه علیه، وحاکمناه إلی الله عزوجل بِظُبا السیوف، وإن أردتم الحیاة قبلناه، وأخذنا لکم الرضا.(۱)

والإمام بمقتضی الظروف - التی تقدّم الکلام عنها - لم یکن أمامه إلَّا الصلح، وأن یُلبِّی طلب معاویة، ولکنّه لم یلبّه إلَّا لیُرکسه فی شروط، لایسع رجلًا کمعاویة إلّا أن یجهر فی غده القریب بنقضها شرطاً شرطاً، ثُمَّ لا یسع الناس إلَّا أن یجاهروه السخط والإنکار، فإذا بالصلح نواة السخط الممتد مع الأجیال، لیکون نواةً للثورات التی تعاونت علی تصفیة السیطرة الاغتصابیة فی التأریخ. (۲)وهذا ما یرومه الإمام (ع) بهذه الشروط، لیضع معاویة أمام امتحان وتأریخ سوف یحاسبه ویفضحه علی مرِّ الأجیال.

۱- تاریخ مدینة دمشق، ابن عساکر، ج۱۳، ص ۲۶۸؛ اسد الغابة، ابن الأثیر، ج۲، ص ۱۳؛ سیرأعلام النبلاء، ج۳، ص ۲۶۹.

۲- الحسن بن علی، توفیق أبو علم، ص ۲۰۸.

ص:۵۰

ص:۵۱

وثيقة الصُلح بلسان المؤرِّخين

اشارة

وأمَّا ما ذكره المؤرّخون والمحدثون من نصوص الصلح، فقد جاءت مقطعة ومتناثرة، لذا سوف نذكر بعض هذه النصوص و نربطها بعضها بالبعض الآخر، لكى يكون القارئ على بيّنةٍ من هذا الحدث التأريخى، الذى تضاربت وقُطّعت نصوصه. فقد ذكر ابن أعثم الكوفى، وابن طلحة الشافعى، وابن الصباغ المالكى، جزءاً منه، ونصوصهم تكاد تكون متقاربة، وكذلك السيوطى وابن قتيبة، وابن حجر وابن عنبة، وابن الأثير وأبو الفداء وغيرهم. .

۱. ما ذكره ابن أعثم وابن طلحة وابن الصباغ

واللفظ للأخير: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى طالب معاوية بن أبى سفيان، صالحه على أن يسلِّم إليه ولاية المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسول الله، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحدٍ من بعده عهداً، على أنَّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى، فى شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم، وعلى أنَّ أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى

ص:۵۲

معاويـة بـذلك عهـد الله وميثـاقه، وعلى أن لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسـين، ولا لأحـدٍ من أهل بيت رسول الله (ص) غائلة سوءً، سراً وجهرًا، ولا يخيف أحداً فى أُفقٍ من الآفاق. شهد عليه بذلك فلان وفلان، وكفى بالله شهيدا» .(۱)

۲. ما ذكره السيوطى وابن حجر

(واللفظ للأوَّل:) «ولى الحسن رضى الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه، بمبايعته أهل الكوفة، فأقام فيها ستة أشهر وأياماً، ثُمَّ سار إليه معاوية، والأمر إلى الله، فأرسـل إليه الحسن يبـذل له تسـليم الأمر إليه، على أن تكون له الخلافـة من بعـده، وعلى أن لا يطالب أحـداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء ممّا كان أيام أبيه، وعلى أن يقضى عنه ديونه، فأجابه معاوية إلى ما طلب، فاصطلحا على ذلك» .(۲)

فالسـيوطى يـذكر فى هـذه البنود أنّ الإمام الحسن شـرط أنّ الخلافة تُسـلَّم وتعود إليه بعد معاوية، وقد أكدَّ هذه الحقيقة ابن حجر فى فتح البارى، بسندٍ قوى، قال:

وذكر محمـد بن قدامـة فى كتـاب الخـوارج، بسـندٍ قـوى إلى أبى بصـرة، أنّه سـمع الحسن بن على يقول فى خطبته عنـد معاويـة: إنّى اشترطت على معاوية لنفسى الخلافة بعده.(۳)

۱- الفتـوح، ابن أعثم الكوفى، ج۴، ص۲۹۱؛ مطالب السؤول، ابن طلحـة الشافعى، ص ۳۵۷؛ الفصول المهمة، ابن الصـباغ، ج۲، صص ۷۲۸ - ۷۲۹.

۲- تاريخ الخلفاء، السيوطى، ص ۱۹۱؛ الامامة والسياسة، ابن قتيبة، ج۱، ص۱۸۴.

۳- فتح البارى، ج ۱۳، ص ۵۵.

ص:۵۳

وقال ابن حجر أیضاً:

وأخرج یعقوب بن سفیان، بسندٍ صحیح إلی الزهری، قال: کاتب الحسن بن علی معاویة واشترط لنفسه، فوصلت الصحیفة لمعاویة، وقد أرسل إلی الحسن یسأله الصلح، ومع الرسول صحیفة بیضاء مختوم علی أسفلها، وکتب إلیه: أن اشترط ما شئت فهو لک، فاشترط الحسن أضعاف ما کان سأل أوّلاً، فلمّا التقیا وبایعه الحسن، سأله أن یعطیه ما اشترط فی السجل الذی ختم معاویة فی أسفله، فتمسّک معاویة إلّا ما کان الحسن سأله أوّلاً واحتجَّ بأنَّه أجاب سؤاله أوَّل ما وقف علیه، فاختلفا فی ذلک، فلم ینفَّذ للحسن من الشرطین شیء.(۱)

وفی هذا النص أنّ الإمام الحسن (ع) اشترط نصوصاً مضاعفة، ولکنَّ معاویة لم یفِ بها.

۳. ما ذکره ابن عنبة

ولعلّ بعض الشروط أن تکون ولایة الأمر بعده إلی أخیه الحسین (ع) ، وهذا ما ذکره ابن عنبة، قال: «وشرط علیه شروطاً، إن هو أجابه إلیها، سلَّم إلیه الأمر، منها أنَّ له ولایة الأمر بعده، فإن حدث به حدث فللحسین» . (۲)

۴. ما رواه ابن الأثیر وأبو الفداء

وأیضاً من تلک الشروط التی لم یفِ بها معاویة، هی عدم سبّ أمیرالمؤمنین (ع) ، وهذا ما رواه ابن الأثیر، قال:

۱- فتح الباری، ج ۱۳، صص ۵۵ و ۵۶.

۲- عمدة الطالب، ابن عنبة، ص ۶۷.

ص:۵۴

كان الـذى طلب الحسن من معاوية أن يعطيه، ما فى بيت مال الكوفة، ومبلغه خمسة آلاف، وخراج دار ابجرد من فارس، وأن لا يشـتم علياً، فلم يجبه إلى الكفِّ عن شتم على، فطلب أن لا يشتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك ثُمّ لم يفِ له به أيضاً.(۱)

وروى أبو الفداء فى مختصره، قائلاً:

ولمَّا رأى الحسن ذلك، كتب إِلى معاوية واشترط عليه شـروطاً وقال: إِن أجبت إليها فأنا سامع مطيع، فأجاب معاوية إِليها، وكان الذى طلبـه الحسن أن يعطيه مـا فى بيت مـال الكوفـة، وخراج دارابجرد من فـارس، وأن لاـ يسبّ علياً، فلم يجبه إلى الكـفِّ عن سبّ على، فطلب الحسن أن لايشتم علياً، وهو يسمع، فأجابه إِلى ذلكَ، ثُمَّ لم يفِ له به.(۲)

فقرات وبنود الصلح

إذن من خلال ما تقدَّم من هذه النصوص، نستنتج الأمور التالية:

الأوَّل: أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنَّة رسوله (ص) .

الثانى: أن لا يعهد لأحدٍ من بعده عهداً، وفى بعض النصوص، أن تسـلَّم الخلافة من بعد معاوية إلى الحسن، ومن بعد الحسن إلى أخيه الحسين (عليهما السلام) ، كما تقدَّم من قول ابن عنبه.

الثالث: الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، فى شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم.

الرابع: أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم

۱- الكامل فى التاريخ، ابن الاثير، ج ۳، ص ۴۰۵.

۲- المختصر من أخبار البشر، ابو الفداء، ج۱، ص ۱۲۶.

ص:۵۵

وأولادهم حيث كانوا.

الخامس: أن لا يبغى معاوية للحسن ولا لأخيه الحسين، ولا لأحدٍ من أهل بيت النبى غائلة، سراً ولا علانية، ولا يخيف أحداً منهم فى أُفقٍ من الآفاق.

السادس: أن يعطى معاوية للحسن (ع) ما فى بيت مال الكوفة، ومبلغه خمسة آلاف، وخراج دارابجرد من فارس.

السابع: عدم سبّ أو شتم أميرالمؤمنين (ع) .

نقض معاوية لمعاهدة الصلح

ولكن ما أن استقرَّ الحكم لمعاوية، حتى رمى وثيقة الصلح تحت قدميه، ولم يف بالعمل بكتاب الله وسنَّة رسوله (ص) ، ونقض الميثاق بأنَّه لا يعهد إلى أحدٍ من بعده، فعهد بالخلافة لابنه يزيد، المشهور بمُجونه وفسوقه، حتى وصل الأمر به إلى نقضِ كل عهدٍ عاهده.

خطاب معاوية لأهل الكوفة

وذلك حينما خاطب أهل الكوفة قائلاً:

يا أهل الكوفة، أترونى قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنَّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ! ولكنّى قاتلتكم لأتأمَّر عليكم، وإلى رقابكم، وقد أتانى الله ذلك وأنتم كارهون، ألا أنَّ كل مال أو دم أصبت فى هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمىَّ هاتين.(۱)

۱- شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج۱۶، ص ۱۵؛ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج۱، ص ۱۴۱؛ الغدير، الأمينى، ج۱۰، ص ۳۲۶.

ص:۵۶

وفعلاً فقد وضع معاوية الشروط كلّها تحت قدميه، ونقضها واحداً تلو الآخر، ولو استقصينا وراجعنا أفعاله، وطابقناها مع الشروط التى ألزمه الإمام الحسن بها، لوجدنا عدم الوفاء والصدق بكلّ من هذه الشروط.

أمّا الشرط الأوّل، فقد خالف معاوية كتاب الله وسنَّة نبيّه (ص) ؛ لأنَّه لم‌يلتزم بالعهود والمواثيق التى أُلزم بها، فضلاً عمَّا جرى فى حُكمه من مخالفات للدين والشريعة، كما سيأتى بيانه.

والشرط الثانى، فقد خالفه معاوية ونقضه، وذلك عندما أخذ البيعة ليزيد، قال ابن كثير فى أحداث سنة ستين من الهجرة النبوية: «فيها أخذ معاوية البيعة ليزيد من الوفد الذين قدموا بصحبة عبيدالله بن زياد إلى دمشق، وفيها مرض معاوية مرضه الذى توفّى فيه، فى رجب» .(۱)

وقال ابن عبد البر:

أراد معاوية البيعة ليزيد، خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام، إنَّه قد كبرت سنّى وقرب أجلى، وقد أردت أن أعقد لرجلٍ يكون نظاماً لكم، وإنّما أنا رجل منكم، فأروا رأيكم، فأصفقوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبدالرحمن بن خالد، فشقَّ ذلك على معاوية وأسرها فى نفسه. ثُمَّ إنَّ عبدالرحمن مرض، فأمر معاوية طبيباً عنده، يهودياً، وكان عنده مكيناً، أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه، فانحرق بطنه فمات.(۲)

وقال الاصبهانى: «وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شىء أثقل من

۱- البداية والنهاية، ابن كثير، ج ۸، ص ۱۲۳.

۲- الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ۲، ص ۸۳۰.

ص:۵۷

أمر الحسن بن على وسعد بن أبى وقاص، فدسَّ إليهما سمّاً فماتا منه» .(۱)

فهنا معاوية استخدم السم والقتل لمجرّد مخالفة أمر خلافة يزيد، فهو لايتورَّع عن القتل بأى أسلوب كان. ومن أساليبه التى اشتهر بها السم، حيث قتل خيرة الصحابة بهذه الطريقة البشعة واللاإنسانية.

إذن، فمعاوية عهد لابنه بالخلافة، وترك ما عاهد عليه، وهو أن تكون الخلافة من بعده للحسن أو الحسين (عليهما السلام) .

وأمَّا الشرط الثالث، فقد نقضه أيضاً، فلم تجد الناس الأمان والاستقرار فى ظلِّ حكمه، بل إن نفسه تحمل الشر والغدر. ويكفينا قول جورج جرداق، حيث وصف سياسة معاوية قائلاً:

الذى يُمعن النظر فى سياسة معاوية، يهوله هذا المقدار من قوى الشر والاحتيال التى تألَّف منها أسلوبه فى أخذ الناس. . فهو أسلوب مكيافيلى خالص، لا ينقصه شىء من تفاصيل المكيافيلية المجرمة، والنهب والترويع والتقتيل.(۲)

وقال أيضاً: «صدق رسول الله (ص) ، إذ قال: (إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلاً، جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً» .(۳)

فلم يتورَّع معاوية عن أىِّ فعل كان، وفى أىِّ مكان وزمان كان، سواء كان الشام أو الحجاز أو اليمن أو العراق، ويدلّنا على ذلك كلماته التى قالها لبسر بن أبى أرطاة:

۱- مقاتل الطالبيين، ص ۴۷.

۲- على صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، ج۴، ص ۷۵۷.

۳- المصدر نفسه، ص ۷۷۹.

ص:۵۸

بعث معاويـة عنـد خروجنا من عنده إلى بسـر بن أبى أرطاة، فبعثه فى ثلاثة آلاف، وقال: سـر حتى تمر بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف مَن مررت به، وانهب أموال كـل مَن أصـبت له مالاً ـ ممَّن لم يكن دخـل فى طاعتنا، فإذا دخلت المدينـة، فأرهم أنَّك تريـد أنفسـهم، وأخبرهم أنّه لا ـ براءة لهم عنـدك ولا ـ عـذر، حتى إذا ظنّوا أنّـك موقع بهم، فاكفف عنهم، ثُمَّ سـر حتى تـدخل مكـة، ولا تعرض فيها لأحد، وارهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة، واجعلها شرداً، حتى تأتى صنعاء. . . .(۱)

فالملاك عند معاوية للعفو عن الناس هو الدخول فى طاعته، وإلّا يكون السيف أو السم لكلّ مَن يخالف هذه السياسة، بغض النظر عن الهوية والبلد.

أمَّا الشـرط الرابع، فأصحاب على (ع) لم يتوان معاوية فى قتلهم، وتشريدهم والفتك بهم، كعمار بن ياسر، وحجر بن عدى، وعمرو بن الحمق وغيرهم. يقول الشيخ حسن بن فرحان المالكى:

إذ لجأ بنو أُميّـة إلى الفتك بمحبّى أهل البيت وإذلالهم، فقتلوا حجربن عـدى صبراً فى عهـد معاويـة؛ لأنَّه أنكر سبّ على على المنابر، وقتلوا عمرو بن الحمق الخزاعى، وكان ممَّن لقى النبى [(ص)] وهاجر إليه، وكذلك كان حجر بن عدى، وقتلوا الحسن بن على، سـيد شباب أهل الجنة، بالسم، وقتلوا أخاه الحسين بالسيف، وارتكبوا مجزرة كربلاء. . . .(۲)

۱- شرح نهج البلاغة، ج ۲، ص۷.

۲- قراءة فى كتب العقائد، ص ۱۷۰.

ص:۵۹

وقال الشيخ مغنية:

فقد كان للإمام على حواريون وأصحاب خُلَّص، كميثم التمار، وكميل بن زياد، وحجر بن عدى، ومحمد بن أبى بكر، وغيرهم، ولكنّه مُنى فى خلافته بالحروب والفتن الداخليـة، ولمّا انتقل إلى جوار ربّه، عمل معاوية على طمس آثاره، وقتل رجاله، والقضاء على كل ما يمتُّ إليه بسبب. (۱)

وقال السيد ابن عقيل:

ومن بوائقه الموجبـة له غضب الله، قتله حجر بن عـدى وأصـحابه صبراً بمرج عـذراء، وهم مَن هم! كأنَّه لم يقرأ قوله تعالى: وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًـا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِـدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَـدَّ لَهُ عَـذَابًا عَظِيمًا . (النساء:۹۳) وهم شـريك بن شداد الحضرمى، وصـفى بن فسـيل الشـيبانى، وقبيصة بن ضبيعة العبسـى، ومحرز بن شـهاب السعدى التميمى، وكدام بن حيان العنزى، وعبدالرحمن بن حسان العنزى الذى دفنه زياد حياً.(۲)

وقد نقل لنا التأريخ اسـتغراب السـيدة عائشة هذا القتل المُفرط من معاوية لصـحابة رسول الله (ص) ، فقالت له: «قتلت حجراً وأصحابه، أما خشيت أن أُخبّأ لك رجلاً فيقتلك بقتل أخى؟ ! قال لا، إنّى فى بيت أمان» .(۳)

وينقل ابن عبد البر أنَّ حجر بن عدى قال: «لمَن حضر من أهله:

۱- الشيعة فى الميزان، محمد جواد مغنية، ص ۱۱۰.

۲- النصائح الكافية، محمد بن عقيل، ص ۸۲.

۳- التاريخ الصـغير، البخارى، ج۱، ص ۱۲۱؛ تاريـخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج۱۲، ص ۲۲۲؛ المعجم الكـبير، الطبرانى، ج۱۹، ص ۳۱۹؛ المستدرك على الصحيحين، ج ۳، ص ۴۷۰.

ص:۶۰

«لاتطلقوا عنّى حديداً ولا تغسلوا عنى دماً، فإنّى ملاق معاوية على الجادة» .(۱)

وللحسن البصرى كلمة جامعة فى أفعال معاوية، ينقلها الطبرى، قال: «أربع خصال كُنَّ فى معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلّا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسفهاء، حتى ابتزَّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوى الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول‌الله (ص) :

الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجراً، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر مرّتين » . (۲)

والكلام يطول فيما فعله معاوية، فلو أردنا أن نستوفى مَن قتلهم معاوية من المصلحين وأولياء الله صبراً، وأبادهم غدراً، واستأصلهم عتواً، وطحنهم حرباً، وسمل أعينهم ظلماً، وقطع أيديهم وأرجلهم بغياً، واستلَّ ألسنةً لهم تنطق بالحق عناداً، وأسقط شهاداتهم زوراً، وتقوّل عليهم افتراءً، وطلَّق حلائلهم مكراً، وأخذ أموالهم سلباً، وصاح فى حجراتهم نهباً، وهدم دورهم عشيّاً، وأقصاهم نفياً، وأوسعهم ذلاً، وضيَّق عليهم حبساً، ودفنهم أحياءً، ولعنهم على المنابر أمواتاً؛ لأفنينا المحابر وأغرقنا الصحف والدفاتر، ثُمَّ لم‌نبلغ غايتنا المقصودة، ولم نظفر بضالتنا المنشودة.(۳)

وأمّا الشرط الخامس، فلم يفِ به معاوية؛ لأنَّ البغى وصل أوجه، وذلك

۱- الاستيعاب، ج ۱، ص ۳۳۱.

۲- تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۲۰۸.

۳- الفصول المهمة فى تأليف الأُمّة، السيد شرف الدين، ص ۱۳۲.

ص:۶۱

بأن يـدسَّ السم للإمام الحسن (ع) ، وكـذلك قتل الإمام الحسـين (ع) وأهل بيته فى كربلاء، على يد يزيد الذى مهَّد له الخلافة. روى ابن أبى الحديـد عن الحصـين بن المنـذر، قال: «والله ما وفى معاويـة للحسن بشـىء ممَّا أعطاه، قتل حجراً وأصـحاب حجر، وبايع لابنه يزيد، وسمَّ الحسن» .(۱)

ويكفينا ما نقله المناوى عن القرطبى فى قسوة وظلم وجفاء بنى أُميّة - وعلى رأسـهم معاوية - فى معاملتهم لأهل البيت (عليهم السلام) ، قال:

فبنو أُميّـة قـابلوا وصـية المصـطفى (ص) فى أهل بيته و أُمّته بالمخالفـة والعقوق، فسـفكوا دماءهم، وسـبوا نساءهم، و أسـروا صـغارهم وخرّبوا ديارهم، وجحدوا شـرفهم وفضـلهم، و اسـتباحوا نسـلهم و سبيهم و سـبهم، فخالفوا رسول الله (ص) فى وصـيته، وقابلوه بنقيض قصده وأمنيته، فياخجلهم إذا التقوا بين يديه، ويافضيحتهم يوم يُعرَضون عليه.(۲)

وأمَّا الشـرط السادس، فكالعادة لم يفِ به معاويـة، ولم يعطِ للإمام الحسن ما وعـده به ممّا فى بيت مال الكوفـة وخراج دارابجرد، فقد روى ابن الأثير: «لم‌يفِ له به أيضاً، (أى مال بيت الكوفـة) ، وأمّا خراج دارأبجرد، فإنّ أهل البصـرة منعوه منه، وقالوا هو فيئنا، لا نعطيه أحداً، وكان منعهم بأمر معاوية» .(۳)

وروى الطبرى أيضاً «وحال أهل البصرة بينه - بين الإمام الحسن - وبين خراج دار أبجرد، وقالوا: فيئُنا» . (۴)أى منعوا إعطاء خراج هذه المدينة.

۱- شرح نهج البلاغة، ج ۱۶، ص ۱۷.

۲- فيض القدير، المناوى، ج ۶، ص۴۵۹.

۳- الكامل فى التأريخ، ابن الأثير، ج ۳، ص۴۰۵.

۴- تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۱۲۶.

ص:۶۲

وأمّا الشرط السابع، فإنَّ معاویة لم یلتزم بهذا الشرط، وکان یقول فی آخر خطبة له، کما ینقل الجاحظ: «اللّهم إنَّ أبا تراب ألحد فی دینک، وصدَّ عن سبیلک، فالعنه لعناً وبیلاً، وعذِّبه عذاباً ألیماً. وکتب بذلک إلی الآفاق، فکانت هذه الکلمات یُشاد بها علی المنابر» .(۱)

وقال السیوطی، کما ینقل ابن عقیل فی النصائح: «إنَّه کان فی أیام بنی‌أمیة أکثر من سبعین ألف منبر یُلعَن علیها علی بن أبی‌طالب (ع) ، بما سنَّه لهم معاویة من ذلک» .(۲)

وهناک مَن نصح معاویة بالکفِّ عن لعن علی (ع) ، کابن عباس: «ألا تکفّ عن شتم هذا الرجل؟ ! قال: لا والله، حتی یربو علیه الصغیر، ویهرم فیه الکبیر!» .(۳)

ومعاویة یعلم یقیناً أنَّ سب علی (ع) هو سبٌّ لله تعالی شأنه، ویعلم ما هو حکم الساب لله تعالی. فقد روی الحاکم فی المستدرک، عن أمِّسلمة: «إنّی سمعت رسول الله (ص) یقول: مَن سبَّ علیاً فقد سبَّنی، ومن سبَّنی فقد سبَّ الله تعالی» .(۴)

ویعلم أیضاً بفضائله، وما رُوی فی حقّه علی لسان رسول الله (ص) ، فقد روی مسلم فی صحیحه:

عن عامر بن سعد بن أبی وقاص، عن أبیه، قال: أمر معاویة بن

۱- شرح نهج البلاغة، ج۴، ص ۵۶.

۲- النصائح الکافیة، ص ۱۰۴.

۳- العثمانیة، الجاحظ، ص۲۸۵.

۴- المستدرک علی الصحیحین، ج ۳، ص ۱۲۱.

ص:۶۳

أبی‌سفیان سعداً فقال: ما منعک أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ذکرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله (ص) ؟ ! فلن أسبَّه، لأن تکون لی واحدة منهنّ أحبّ إلیَّ من حُمر النِعم. سمعت رسول الله (ص) یقول له [حین] خلّفه فی بعض مغازیه فقال له علی: یا رسول الله، خلَّفتنی مع النساء والصبیان، فقال له رسول الله (ص) : أما ترضی أن تکون مِنّی بمنزلة هارون من موسی، إلَّا أنّه لا نبوّة بعدی؟ ! . وسمعته یقول یوم خیبر: لأُعطینَّ الرایة رجلاً یحبّ الله ورسوله، ویحبُّه الله ورسوله. قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لی علیاً، فأُتی به أرمد، فبصق فی عینه، ودفع الرایة إلیه. ففتح الله علیه. ولمَّا نزلت هذه الآیة: (فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ) ، دعا رسول الله (ص) علیاً وفاطمة وحسناً وحسیناً، فقال: اللّهم هؤلاء أهلی.(۱)

ولکنَّ حقد معاویة علی البیت الهاشمی قد أصمّ أذنَی معاویة، (فالحقد علی الهاشمیّین کان - إلی جانب معرفته بحقّهم الصریح - یتأجّج فی صدره لیتآکل قلبه، وکذلک کُره محمد کان یسدّ علیه منافذ تنفّسه؛ ولکن کیف له بما قد مضی فسبق فیه السیف العذل؟ !) .(۲)

هذه الکلمات التی أطلقها کامل سلیمان، هی بحق شهادة صادقة، ولعلّه استقاها من تلک العلّة التی سألها الإمام علی بن الحسین لمروان بن الحکم، حین قال له: «فما بالکم تسبُّونه - أی علی (ع) - علی المنابر؟ قال: إنَّه لا یستقیم لنا الأمر إلّا بذلک! !» .(۳)

فاستقامة أمرهم، إشارة إلی الحکم والسلطان، ولکن أنَّی لهم ذلک،

۱- صحیح مسلم، ج ۷، ص ۱۲۰؛ سنن الترمذی، ج ۵، ص ۳۰۱.

۲- الحسن بن علی، ص ۱۸۰.

۳- المصدر نفسه، ص ۲۸۳.

ص:۶۴

فمعاويـة خمد ذكره وانطفأ أواره، وعلى (ع) ارتفع قدره وعلا شأنه، ومعاوية فى مزبلة التأريخ، وعلى قبَّة تتلألأ فى السـماء عُلواً وسـموّاً وخلوداً. . . .

وصف معاوية بالغدر بعد نقض الصلح

فمعاويـة لم يـف بـأىِّ شـرط من الشـروط ودحضـها جميعـاً؛ لـذا نجـد أنَّ بعض الصـحابة وصـف معاويـة بالغـدر، فقـد نقـل أبوالفرج الأصـفهانى بسـنده: «عن عمرو بن ثابت، عن أبى إسـحاق، قال: «سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا إنَّ كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمَىّ هاتين، لا أفى به. قال أبوإسحاق: وكان والله غدَّاراً» .(۱)

فصـفة الغدر وعدم الوفاء تكاد تكون صـفةً ملازمة له طيلة حياته، فمن نقضه للشـروط، إلى سـمّه وقتله الصـحابة، إلى تولّيه لابنه يزيد منبر الخلافة.

۱- الحسن بن على، ص ۲۸۳؛ مقاتل الطالبيين، ص ۴۵.

ص:۶۵

أسباب الصلح ومُبرّراته

اشارة

إنّ أهمّ النقاط التى أدَّت بالإمام الحسن (ع) للصُّلح نُجملها بما يلى:

۱- تركيبة جيش الكوفة

لقد احتوى جيش الكوفة الذى أعدَّه الإمام الحسن (ع) لحرب معاوية على تركيبة غير متجانسة، قال الشيخ المفيد:
تحرّك الحسن (ع) وبعث حجر بن عدى فأمر العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثُمَّ خف معه أخلاط من الناس، بعضهم شيعة له ولأبيه (عليهما السلام) ، وبعضهم محكّمة يُؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع فى الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية، اتَّبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين.(۱)
وينبغى أن لا ننسى المنافقين، الذين كانوا يراسلون معاوية سراً، وكذلك الخونة الذين باعوا ذممهم وضمائرهم مقابل دراهم معاوية ودنانيره.

۱- الإرشاد، ج۲، ص۱۰؛ الفصول المهمة فى معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكى، ج۲، ص۷۲۰.

ص:۶۶

إنَّ هذا الخليط الكوفى المتنوّع يكفى بمفرده أن يهزم أى جيش، مهما بلغت عدّته وعديده، ولم يكن بوسع الإمام (ع) أن يطهّر جيشه من العناصر الغريبة التى اندسَّت فيه، فإنَّ طريقة التجنيد آنذاك لم يكن يشترط فيه أى كفاءات شخصية، ولا حتى سنّ خاصة، كما لم يكن يخضع المقاتل لأىِّ اختبار لإثبات ولائه وإيمانه الكامل بهدف الحرب، بل كل ما كان يُشترَط فيه أن يكون قادراً على حمل السلاح. هذا هو النظام المألوف فى ذلك العصر، حيث كان يعتمد على ظاهر الشخص وسيرته الخارجية، ولم يكن يوجد جهاز استخبارات عسكرية، يتتبَّع الخلايا المعادية وغير المخلصة، ويحاول كشفها والقضاء عليها.

وليس هذا بأمرٍ جديد، فقد كان المنافقون والمغرضون منتشرين فى عهد رسول الله (ص) ، وكانوا يشاركون فى غزواته وسراياه، ولم يقم النبى (ص) بطردهم أو فضحهم.(۱)

إذن، للتركيبة غير المتجانسة لجيش الإمام الحسن (ع) دور فى إضعاف الجيش، وجعله عاجزاً عن القيام بمهامه ومجابهة جيش الشام، الذى كان يتمتَّع بتجانس أكبر.

۲- خيانة أُمراء الجيش

من أهمِّ العوامل التى أضعفت معنويات الجيش، وفتَّت عضده، هى خيانة أُمراء الجيش الذين عيَّنهم الإمام وأرسلهم كطلائع حتى يلحق

۱- انظر: الكامل فى التاريخ، ج۲، صص۱۹۲ و۲۶۳. وللتفصيل أكثر راجع: صلح الحسن، الشيخ راضى آل ياسين، ص۱۲۶.

ص:٦٧

بهم، ولكن سال لعابهم أمام دراهم معاوية، فتركوا مواقعهم ومالوا إلى جانب معاوية.

ومن أهمِّ هؤلاء الأُمراء عبيدالله بن العباس، حيث بذل له معاوية ألف ألف درهم، فصار إليه فى ثمانية آلاف من أصحابه(١)، فكان لهذه الخيانات أثر بالغ فى إضعاف معنويات الجيش، وفى خفض عدده، ممَّا أدّى إلى اختلال التوازن بين الجيشين.

٣- جيش مُرهَق أثر الحروب المتتالية

لقد دخل أهل الكوفة خلال فترة وجيزة - وهى فترة خلافة أميرالمؤمنين (ع) - حروباً طاحنة، خلّفت أضراراً كبيرة فى المجتمع الكوفى، حيث قدَّم أبناء الكوفة عشرات الآلاف من الشهداء، فقد قُتل منهم، على أقل تقدير، خمسة آلاف فى معركة الجمل(٢)، وربّما تصل بعض تقديرات القتلى إلى عشرة أو خمسة عشر ألفاً، حيث رُوى أنَّ مجموع القتلى آنذاك من الجانبين كان نيفاً وثلاثين ألفاً.(٣)وأمّا صفّين، فقد تراوح عدد القتلى فيها من أهل الكوفة بين عشرين ألفاً إلى خمسة وعشرين(٤)، وقد كان أهل الكوفة مستعدّين أن يقدّموا شهداء أكثر فى معركة النهروان، ولكن الله سلّم.

إنَّ عدد القتلى الكبير، والضغط النفسى الذى تسبِّبه الحرب، إضافةً إلى المشاكل الاقتصادية التى تنجم عن الحروب المتوالية، كل ذلك أدَّى إلى

١- تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص٢١٤.

٢- تاريخ الطبرى، انظر: الطبرى، ج٣، ص٥٤٣.

٣- تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص١٨٣.

٤- مروج الذهب، المسعودى، ج٢، صص٤٠٤ و ٤٠٥.

ص:۶۸

إرهاق أهل الكوفة، ومطالبتهم بالصلح وترك الحرب، حتى أخذوا ينادون: (البقية البقية) .(۱)

۴- ظهور الشائعات وحدوث اضطرابات داخلية

إنَّ أحد الأساليب التى اعتمدها معاوية لأجل إضعاف الجيش الكوفى، هو نشر الإشاعات، حيث قام ببثِّ شائعة أنَّ الإمام الحسن (ع) قد رضى بالصلح، وذلك قبل حدوث أى موافقة من قِبل الإمام. قال اليعقوبى:

وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن مَن يتحدَّث أنَّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ويوجِّه إلى عسكر قيس مَن يتحدَّث أنَّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه، ووجَّه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة، وعبدالله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أم الحكم، وأتوه وهو بالمدائن نازل فى مضاربه، ثُمَّ خرجوا من عنده وهم يقولون ويُسمِعون الناس: إنَّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح.(۲)

وقد أدّت هذه الشائعات، التى أثارها معاوية وغيره، إلى حدوث اضطرابات عرَّضت حياة الإمام إلى الخطر، فقد جاء فى كتب التاريخ: «فبينا الحسن فى المدائن، إذ نادى مناد فى العسكر: ألا أنَّ قيس بن سعد قد قُتل، فانفروا، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن [(ع)]، حتى نازعوه بساطاً كان تحته» .(۳)

هذه إشارة إلى مُجمَل الأسباب التى اضطرَّت الإمام إلى الصلح، حيث

۱- الكامل فى التاريخ، ج۳، ص۴۰۶.

۲- تاريخ اليعقوبى، ج۲، صص۲۱۴ و ۲۱۵.

۳- تاريخ الطبرى، ج۴، ص۱۲۲.

ص:۶۹

بلغت الظروف آنـذاک مـدىً بعيـداً من السوء، إذ تحـدّث الإمام عن تلک الظروف وقال: «والله لو قاتلت معاويـة، لأخـذوا بعنقى حتى يدفعونى إليه سلماً» .(۱)

إذن بعـد معرفة أسـباب الصـلح، يظهر أنَّ الإمام لم يسـلِّم الأمر لمعاوية عن رضا، وإنَّما أُجبر على ذلک، ولو كانت بيده زمام الأمور و أطاعه حبيشه لما صالح و لقاتل معاوية قتالاً بلا هوادة، فقد قال (ع) فى كلامٍ له مع أهل الكوفة:

وأنَّ معاويـة دعانا إلى أمرٍ ليس فيه عزّ ولا نصـفة، فإنْ أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عزوجل بظبا السـيوف، وإنْ أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا. فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية.(۲)

۱- الاحتجاج، الطبرسى، ج۲، ص۱۰.

۲- ترجمة الإمام الحسن ع ، ابن عساكر، ص۱۷۹؛ تاريخ ابن خلدون، ج۲، ص۱۸۷.

ص:۷۰

ص:۷۱

نتائج الصلح وثمراته

اشارة

من أهمِّ نتائج الصُّلح وثمراته هو ما يلى:

۱- إصلاح الأُمَّة وحقن دماء المسلمين

وهذا ما حدّث به الإمام الحسن (ع) فى خطبته بعد الصلح، قائلاً:

أمّا بعد أيُّها الناس، فإنَّ الله هداكم بأوَّلنا وحقن دماءكم بآخرنا، ألا أنَّ أكيس الكيس التقى، وأنَّ أعجز العجز الفجور، وأنّ هذا الأمر الذى اختلفت أنا ومعاوية فيه، إمّا أن يكون أحق به منّى وإمّا أن يكون حقّى تركته لله عزَّ وجل، ولإصلاح أُمّة محمد (ص) ، وحقن دمائكم. ثُمَّ التفت إلى معاوية وقال، وإن أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين. فأمره معاوية بالنزول.(۱)

فلو دقَّقنا بهذا النص، سنجد أنَّ الإمام الحسن (ع) يخاطب الأُمَّة ويدعوها إلى التمييز والحصافة والكياسة بين ما وقع بينه وبين معاوية فى أمر الصلح، فإمّا أن يكون معاوية على حق، وإمّا أن يكون الحق معه (ع) ، ولكنْ تركه

۱- أسد الغابة، ابن الأثير، ج۲، ص ۱۴؛ الدر المنثور، السيوطى، ج ۴، ص ۳۴۲؛ فتح البارى، ج۱۳، ص ۵۴.

ص:۷۲

لوجود مصلحة كبرى؛ لانَّ فى هذا الصلح إصلاح للأُمّة - كما سنبينه، وهو بيان فضح معاوية -، ثُمَّ أشار الإمام إلى أنَّ هذا الصلح لمَن لايفهم معنى الإمامة هو فتنة وامتحان. وواضح أنَّ الإمام الحسن يروم ذلك، وهو أنَّ الحق معه لغرض الإصلاح وحقن الدماء، لذا أمره معاوية بالنزول.

وقال (ع) ، حين خاطبه سليمان بن الصرد:

فإذا شئت فأعدت الحرب عدة، وأذن لى فى تقدّمك إلى الكوفة. فقال الإمام (ع) : أنتم شيعتنا وأهل مودَّتنا، ما كان معاوية بأشدّ منّى بأساً، ولاأشدَّ شكيمة، ولا- أمضى عزيمة، ولكنّى أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلت إلّا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله تعالى، وسلّموا لأمره، والزموا بيوتكم وأمسكوا.(۱)

وقد علَّق السيد المرتضى على هذا الكلام بقوله: «وهذا كلام منه (ع) يشفى الصدور ويذهب بكلّ شبهة» .(۲)

وكذلك حينما سُئل (ع) من بعض أصحابه عن مداهنة معاوية ومصالحته، مع علم الإمام بدهاء معاوية وضلاله:

يابن رسول الله، لمَ داهنت معاوية وصالحته، وقد علمت أنَّ الحق لك دونه وأنَّ معاوية ضالٌّ باغ؟ فقال: يا أبا سعيد، ألستُ حجّة الله تعالى على خلقه وإماماً عليهم، قلت: بلى، قال: ألستُ الذى قال رسول‌الله (ص) لى ولأخى (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟) قلت: بلى، قال: فانا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذ لو قعدت، يا أبا سعيد، علَّة مصالحتى لمعاوية

۱- تنزيه الأنبياء، السيد المرتضى، صص ۳۳۰- ۳۳۱.

۲- المصدر نفسه، ص ۳۳۱.

ص:۷۳

علّة مصالحة رسول الله (ص) لبنى ضمرة وبنى أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفّار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل. سخطتم علىَّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما تُرك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلّا قتل.(۱)

وكذلك روى الصدوق بسنده عن أبى سعيد، قال:

لمَّا صالح الحسن بن على (ع) معاوية بن أبى سفيان، دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال (ع) : ويحكم، ما تدرون ما عملت، والله الذى عملت خير لشيعتى ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت.(۲)

وأيضاً ما ورد عن الإمام الصادق فى وصيّته لأبى‌جعفر محمد بن النعمان الأحول، المعروف بمؤمن الطاق:

اعلم إنَّ الحسن بن على (ع) لمَّا طعن واختلف الناس عليه، سلَّم الأمر لمعاوية، فسلَّمت عليه الشيعة: عليك السلام يا مذلّ المؤمنين, فقال (ع) : ما أنا بمذلّ المؤمنين ولكنّى معزّ المؤمنين, إنّى لمّا رأيتكم ليس بكم عليهم قوّة، سلّمت الأمر لأبقى أنا وانتم بين أظهرهم, كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها، وكذلك نفسى وأنتم لنبقى بينهم.(۳)

فهنا الإمام الحسن (ع) يعامل الأُمَّة التى خانته بمنتهى العطف والرحمة، بحيث يُشعرهم بالعز بعد انكسارهم، وأنَّهم ليسوا بتلك القوة التى يجابهون بها معاوية، وهو يعلم بضعفهم، ولكن يريد أن يقول لهم أنتم جزء العلّة فى

۱- علل الشرايع، الصدوق، ج ۱، ص ۲۱۱.

۲- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص ۳۱۶؛ كشف الغمة، الأربلى، ج ۳، ص ۳۲۸.

۳- تحف العقول، ابن شعبة الحرانى، ص ۳۰۸.

ص:۷۴

قبولى للصلح، للحفاظ عليكم، ثُمَّ يضرب لهم مثلاً رائعاً من القرآن وهو خرق السفينة التى كانت السبب فى حفاظها وبقائها لهم.

۲- الحفاظ على السنَّة النبوية المتمثِّلة بالثقل الثانى للكتاب

إنَّ الإمام الحسن (ع) بهذا الصلح حافظ على البقية الباقية من مُحبِّى الإمام على (ع) وأهل بيته وشيعته، لعلّهم ينشرون علومهم وسيرتهم؛ لانَّ فى ذلك حفاظ على الثقل الاصغر والعدل للقرآن، وهذا ما أفاده الكاتب حسن بن فرحان المالكى قائلاً:

فكان الحسن بن على بين أمرين، إمَّا أن يستعين بهذه القلَّة من المخلصين ضدّ هذه الجموع الكبيرة، وإمّا أن يلجأ لمصالحة معاوية، فكان هذا الخيار الأخير هو الذى ترجّح عندالحسن؛ لحفظ البقية الباقية من مُحبّى الإمام على وأهل البيت، لعلَّهم ينشرون علومهم وسيرتهم. وكان اللجوء للخيار الأوَّل (محاربة معاوية) يعنى - إلى حدٍّ كبير - القضاء على كل مَن يذكر الإمام على بخير من أهل العراق، وبهذا يضيع فضل وآثار (الثقل الثانى) بعد كتاب الله.(۱)

فجاء الصلح حافظاً لآثار الثقل الثانى، المتمثّل بالعترة الطاهرة، وبيان فضلهم وآثارهم فى كافة مجالات الحياة، العلمية والسياسية والاجتماعية.

۳- فضح معاوية من خلال وثيقة الصلح

اشارة

إنَّ واحدةً من نتائج الصلح مع معاوية هى فضحه، وبيان نفاقه وغدره، وكشف حاله أمام شريحة كبيرة ممَّن خُدع بخلافته من المسلمين، فإنَّ هناك

۱- قراءة فى كتب العقائد، حسن بن فرحان المالكى، صص ۷۰۷۱.

ص:۷۵

شروطاً وضعها الإمام على معاوية ألزمه بها لكى يكشف الوجه الحقيقى لمعاوية، من خلال نقضه لهذه العهود والشروط، وفعلاً لم يتقيَّد بتلك الشروط، ممَّا أثار حفيظة المسلمين، وبدأ الشك يسرى عند الصحابة وكبار التابعين، بحيث نجد أنَّ عبدالرحمن بن شريك النخعى إذا حدَّث بذلك يقول: هذا والله هو التهتُّك. (۱)

معاوية فی میزان الإمام الحسن (ع)

وقد قيم الإمام الحسن (ع) معاوية حينما قارن بينهما، وهذه المقارنة تكشف شخصية معاوية للناس، من حيثية النسب والنفاق والمكر والخداع والشر. قال ابن أبى الحديد:

قال أبوالفرج: وحدّثنى أبوعبيد محمد بن أحمد قال: حدَّثنى الفضل بن الحسن البصرى قال: حدَّثنى يحيى بن معين قال: حدَّثنى أبوحفص اللبان عن عبدالرحمن بن شريك، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن حبيب بن أبى ثابت قال: خطب معاوية بالكوفة حين دخلها، والحسن والحسين جالسان تحت المنبر، فذكر علياً فنال منه، ثُمَّ نال من الحسن، فقام الحسين ليردّ عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثُمَّ قام فقال: أيُّها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبى على، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأُمّى فاطمة وأُمّك هند، وجدّى رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة، وجدّتى خديجة وجدّتك قتيلة. . فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين.

۱- النصائح الكافية، محمد بن عقيل، ص ۱۹۴.

ص:۷۶

قال الفضل: قال یحیی بن معین: وأنا أقول آمین.

قال أبوالفرج: قال أبو عبید: قال الفضل: وأنا أقول آمین.

ویقول علی بن الحسین الأصفهانی: آمین.

قلت: ویقول عبدالحمید بن أبی الحدید مصنّف هذا الکتاب: آمین.(۱)

إذن، الإمام الحسن (ع) شخّص الداء ووضع الأمور فی نصابها الصحیح، فلا تکشف هذه الوثیقة إطلاقاً علی أنّه (ع) سلّمها لمعاویة طائعاً، بل الإمام کشف وفضح معاویة بهذا الصلح للرأی العام.

۴- التمهید لثورة الحسین فی کربلاء

قال کامل سلیمان:

فآثار الصلح، مجتمعة ومتفرّقة، بدأت تُهیِّئ الانقلاب بتُؤدة، بل کانت أوَّل تحفّز لأمرٍ موعده یوم کربلاء... وقد بدأ هذا التحفّز یوم صالح الحسن معاویة علی أن یعمل بکتاب الله، فخالفه وحکم بالولد لأُمّه! (ادعوهم لآبائهم) ، أی یوم استلحق زیاداً، ورضیا معاً بإعلان الزنا بین الأب - أبی سفیان والأُم - سمیة -! ! وبمخالفة السنَّة وقول النبی (الولد للفراش وللعاهر الحجر) ... وبدأ التحفّز ساعة تراضیا علی أن یعهد للحسن أو لأخیه الحسین بالخلافة، فسمَّ الأوّل وهیَّأ قتل الثانی، وساعة وقَّعا وثیقة بأمان الناس فی مختلف الأوطان، فأرعبهم وعاث فیهم تقتیلاً وتشریداً، وساعة أعطی عهوداً کثیرةً ولم یفِ بشیء منها.... (۲)

۱- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید، ج ۱۶، صص ۴۶-۴۷؛ مقاتل الطالبیین، ص ۴۶؛ الإرشاد، ج۲، ص۱۵؛ المناقب، ابن شهر آشوب، ج۳، ص ۱۹۸.

۲- الحسن بن علی، کامل سلیمان، ص ۱۲۰.

ص:۷۷

إذن مما تقدم یتّضح أن نتائج الصلح و ثمراته قعود بالفائدةِ علی سائر المسلمین من خلال حفظ دمائهم و أعراضهم، وکذلک الحفاظ علی السـنة النبویة المتمثلة بالثقل الثانی للکتاب، وایضاً التمهید لثورة الحسین (ع) ، التی سوف یُکمل بها (ع) فَضح الإنحرافی الاموی، المتمثل

بخلافة یزید بن معاویة و التی لاعت إلی الدین والإسلام بصلة.

ص:۷۸

ص:۷۹

الفصل الثالث: شبهات حول صُلح الإمام الحسن (ع)

اشارة

ص:۸۰

ص:۸۱

الشُبهة الأولى: تسليم الخلافة لمعاوية كاشف على عدم النص على الإمامة

اشارة

قال الدكتور ناصر بن عبدالله القفارى: (۱)«كيف استحلَّ الحسن والحسين (رضى الله عنهما) إبطال عهد رسول الله (ص) إليهما طائعين غير مكرهين، مع أن الحسن معه أزيد من مائة ألف عنان يموتون دونه؟ !». (۲)

ثُمَّ قال:

فتالله، لولا أنَّ الحسن (رضى الله عنه) علم أنَّه فى سِعَة من تسليمها إلى معاوية، وفى سعةٍ من أن لا يسلّمها، لما جمع بين الأمرين، فأمسكها ستة أشهر لنفسه وهى حقّه، وسلَّمها بعد ذلك لغير ضرورة، وذلك له مباح، بل هو الأفضل بلا شك؛ لأنَّ جده رسول‌الله (ص) قد خطب

۱- أستاذ سلفى فى علوم العقيدة فى جامعة أم القرى فى المملكة العربية السعودية، له مجموعة من الكتب ينال فيها من المذهب الشيعى، ومنها رسالته فى الدكتوراه أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية، عرض ونقد ، نال فيها درجة الشرف الأُولى، وتدرّس فى الجامعات السعودية.

۲- أصول مذهب الشيعة، ناصر بن عبدالله القفارى، ج۲، ص۸۶۴.

ص:۸۲

بذلك على المنبر وقال: (إنَّ ابنى هذا سيد، ولعلّ الله أن يُصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين) . رويناه من طريق البخارى.(۱)

جواب الشبهة

عدم التفريق بين الإمامة السياسية والإلهية

إنَّ الدكتور القفارى لم يفرّق بين أمرين أساسيّين فخلط بينهما، ولعلَّه كان قاصراً عن إدراك هذا المعنى، فأسَّس كلامه على فهم خاطئ للإمامة، ممّا أوقعه فى شُبهة أنَّ الإمام الحسن قد تنازل عنها، وأنَّه سلّمها لمعاوية طوعاً، وغير ذلك. . . وهذا الفهم ليس صحيحاً وفق وجهة النظر الشيعية.

فهناك فرق كبير بين الخلافة بلحاظ كونها حكومة سياسية، وبين الإمامة الإلهية.

فالإمامة الإلهية، ليس تفويضها باختيار الأُمَّة؛ لأنَّها متوقِّفة على العصمة وعلم الكتاب، والعصمة من الأمور الخفيَّة التى لا يطَّلع عليها إلّا عالم السرائر، فكيف يجوز للحكيم (تعالى شأنه) أن يفوّضها إلى اختيار الأُمّة، الجاهلين بمواقعها وحدودها؟ ! وهل هذا إلّا إهمال وإخلال بالحكمة؟ ! تعالى الله عنه علوّاً كبيراً.(۲)

فالإمامة الإلهية لا يمكن التنازل عنها؛ لأنَّها مجعولة لهم (عليهم السلام) بجعلٍ إلهى، فلا نتصوَّر انتزاع ذلك المقام منه أو التخلّى عنه، فالإمام إمام حتى لو كان جالساً فى بيته أو قابعاً فى غياهب السجون، وليس الحكم إلّا وظيفة من

۱- أصول مذهب الشيعة، ج۲، صص۸۶۴ و ۸۶۵.

۲- مصباح الهداية فى إثبات الولاية، على البهبهانى، ص ۱۴۳.

ص:۸۳

وظائفه وطريقاً لإجراء وتنفيذ الأحكام الإلهية. نعم ينبغى عليه أخذه فيما لو توفَّرت الظروف الموضوعية له.

إذن، فالرئاسة والحكومة الظاهرية الصورية قد يُتنازل عنها، وهذا أميرالمؤمنين (ع) قد وصف هذه الخلافة بأنَّها لا تساوى شسع نعله، وهى أزهد عنده من عفطة عنز.

فليس للخلافة قيمة فى قبال الإسلام وسلامة أمور المسلمين، وهو القائل:

أما والذى فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطة عنز.(۱)

فمَن تكون الدنيا عنده أهون من عفطة عنز، ولا تساوى الخلافة عنده شسع نعله، لاسيما أنَّ هناك من الأُمّة مَن يتنافس على حطام الدنيا وزخارفها وزبرجها، فكيف لا يرفضها؟ !

ومن هذا المنطلق نجد أنَّ الإمام الحسن (ع) لا يختلف عن أبيه فى التنازل عن هذا المنصب؛ لمقتضى الظرف والحكمة التى جعلته فى نظر الآخرين أنَّه تنازل عنها، مع حفظ إمامته الإلهية الربانية؛ لأنَّه لا يمكن مصادرتها أو غصبها، بشهادة قول رسول الله (ص) «ابنای هذان إمامان، قاما أو قعدا» .(۲)

۱- شرح نهج البلاغة، ج۶، ص ۱۶۶.

۲- الإرشاد، ج۲، ص ۳۰؛ علل الشرائع، ج۱، ص ۲۱۱؛ الفصول المختارة، ص۳۰۳؛ المناقب، ج۳، ص۱۳۶، قال: «واجتمع أهل القبلة على أنّ النبى قال: الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا» . وانظر: مجمع البيان، الطبرسى، ج۴، ص ۱۰۴، قال: «وقد صحَّ فى الحديث أنه قال لهما: ابنای هذان إمامان، قاما أو قعدا» .

ص:۸۴

فالحسن والحسين (عليهما السلام) ، إماما قاما أو قعدا، سواء مارس الخلافة أولم يمارسها.

خلط القفارى فى عدد الجيش الذى ذكره المؤرّخون

أمّا ما تحدَّث به القفارى خلال كلامه عن عدد جيش الإمام الحسن (ع) ، حيث ذكر أنَّ معه (ع) أزيد من مائة ألف عنان يموتون دونه، فهو يتحدَّث عن عددٍ يتجاوز المائة ألف من المستميتين المتفانين فى سبيل الإمام (ع) ، ولكنَّ هذا غير صحيح؛ لأنَّ أهواء الجيش وعدم اتّحاده، وإرهاق الناس وتعبهم، أدَّى بالنتيجة إلى الصلح.

تحقيق فى عدد جيش الإمام الحسن (ع)

اشارة

وأمّا عدد الجيش، فهو مبالغ فيه جداً، ويعتمد على روايات قابلة للمناقشة، لذا نحاول هنا الحديث عن عدد الجيش.
لقد اختلف عدد جيش الكوفة والشام اختلافاً فاحشاً، فقد بلغ جيش الشام ستين ألف مقاتل، بينما تراوح عدد جيش الكوفة بين أعداد مختلفة نذكرها تباعاً:

۱- ما رواه ابن قتيبة (مائة ألف)

اشارة

قال ابن قتيبة:
وذكروا أنَّه لمَّا تمَّت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعاً إلى الشام، أتاه سليمان بن صرد، وكان غائباً عن الكوفة وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال الحسن: وعليك السلام، أجلس لله أبوك، قال: فجلس سليمان، فقال:

ص:۸۵

أمّا بعـد، فإنَّ تعجّبنا لا ينقضـى من بيعتك معاويـة ومعك مئـة ألف مقاتل من أهل العراق، وكلهم يأخـذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز. (۱)

تفرُّد ابن قتيبة بهذا العدد

إنَّ ابن قتيبـة قـد تفرَّد بنقل عـدد المائـة ألف – خاصـة وأنَّ القفارى لايعطى أىّ قيمـة لما ينقله ابن قتيبة –، بينما نقل السـيد المرتضـى وغيره حديث سليمانبن صرد مع الإمام الحسن (ع) ، وذكر عدد الأربعين ألفاً، فقد جاء:

لمّـا بـايع الحسن (ع) معاويـة، أقبلت الشـيعة تتلاقى بإظهـار الأسف والحسـرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعـد سـنتين من يوم بايع معاويـة، فقال له سـليمان بن صـرد الخزاعى: ما ينقضـى تعجّبنا من بيعتك لمعاوية، ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة، كلهم يأخذ العطاء وهم على أبواب منازلهم، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز. (۲)

إضافـةً إلى ذلـك أنَّ سـليمان كـان غائبـاً عن الكوفـة، فلم يكن يعلم بمـا جرى فيهـا من تخاذلٍ وخيانـةٍ، وكان يتصوّر أنَّ الأيام كأيام أميرالمؤمنين (ع) فى صـفين، حيث اجتمع إليه عشـرات الآلاف من أهل الكوفة وغيرهم، ولذلك لا يمكن التعويل على كلام سـليمان فى تحديد عدد الجيش.(۳)

۱- الإمامة والسياسة، ج۱، ص۱۴۱.

۲- تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، ص۲۲۳. وراجع أيضـاً: مناقب آل أبى طالب، ج۳، ص۱۹۷؛ بحارالأنوار، مجلسى، ج۴۴، ص۲۹، فإنهم كلهم يذكرون عدد الأربعين ألفاً.

۳- صلح الحسن، الشيخ راضى آل ياسين، ص۱۱۹.

ص:۸۶

۲- ما رواه اليعقوبى (تسعون ألف)

اشارة

وهو العدد الذى ذكره زياد بن أبيه فى جواب تهديد معاوية له، حيث قال:

إنَّ ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق وبقية الأحزاب كتب يتوعَّدنى ويتهدَّدنى، وبينى وبينه ابنا بنت رسول الله فى تسعين ألفاً [وفى رواية: فى سبعين ألفاً] (۱)واضعى قبائع سيوفهم تحت أذقانهم، لا يلتفت أحدهم حتى يموت. . .(۲)

عدم الوثوق بنقل هذا العدد لانَّ الناقل هو زياد بن أبيه

وهذا العدد أيضاً لا يمكن التعويل عليه؛ لغياب زياد عن مجمل الأحداث آنذاك، حيث كان والياً على فارس(۳)، ولذلك لا يكون خبره ناشئاً عن مشاهدة وحس، بل عن حدس.

۳- ما رواه ابن عساكر وابن كثير الدمشقى (سبعون أو ثمانون ألفاً)

اشارة

روى ابن عساكر وابن كثير، واللفظ للأوّل، عن زيد بن أسلم، قال:

دخل رجل على الحسن المدينة وفى يده صحيفة فقال: ما هذه؟ قال: من معاوية يعدُ فيها ويتوعَّد، قال: قد كنت على النصف منه، قال: أجل؛ ولكنّى خشيت أن يأتى يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً، أو أكثر أو أقل، كلهم تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدى الله فيمَن أهريق دمه. (۴)

۱- الكامل فى التاريخ، ج۳، ص۳۲۲.

۲- تاريخ اليعقوبى، ج۲، ص۲۱۸.

۳- الأعلام، خيرالدين الزركلى، ج۳، ص۵۳.

۴- تاريخ مدينة دمشق، ج ۱۳، ص ۲۸۱؛ البداية والنهاية، ج۸، ص۴۶.

ص:۸۷

العدد المذكور يشمل جيش الكوفة والشام معاً

فهنا الإمام الحسن، وفق هـذه الروايـة، يرى أنَّ عدد الجيش بين الشام والكوفة هو سـبعون أو ثمانون الفاً، إذ الجميع يسـتعدى الله فيمن أهريق دمه، وقد علمنا أنَّ جيش الشام كان ستين ألفاً، فلا يبقى من جيش الكوفة إلّا عشـرون ألفاً على أكبر تقدير. وممّا يشـهد لذلك تردّد الإمـام فى ذكر العـدد، ولو كان ناظراً إلى عـدد جيشه فقط، لما تردَّد فيه؛ لأنَّه أعرف بعـدد جيشه، فيكون التردُّد ناشـئاً من إضافة جيش الشام إلى جيش الكوفة.

۴- ما رواه الطبرى وابن الأثير وابن أبى الحديد (أربعون ألفاً)

اشارة

روى الطـبرى عن الزهرى: «فخلص معاويـة، حين فرغ من عبـدالله بن عبـاس والحسن [(ع)]، إلى مكايـدة رجـل هـو أهمّ النـاس عنـده مكايدةً، ومعه أربعون ألفاً» . (۱)وقال ابن الأثير:

كـان أميرالمؤمنين على قـد بـايعه أربعون ألفـاً من عسـكره على الموت، لمَّا ظهر مـا كـان يخبرهم به عن أهـل الشـام، فبينما هو يتجهَّز للمسـير، قُتـل [(ع)]، وإذا أراد الله أمراً فلاـ مردَّ له، فلمَّا قُتـل وبـايع النـاس ولـده الحسن، بلغه مسـير معاويـة فى أهـل الشام إليه، فتجهَّز والجيش الذين كانوا بايعوا علياً، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية. (۲)

وروى ابن أبى الحديد عن المسيّب بن نجية، أنَّه قال للحسن (ع) : «ما ينقضى عجبى منك، بايعت معاوية ومعك أربعون ألفاً؟ !» .(۳)

۱- تاريخ الطبرى، ج۴، ص۱۲۵.

۲- الكامل فى التاريخ، ج۳، ص۴۰۴.

۳- شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج۱۶، ص۱۵.

ص:۸۸

إلّا أنَّ هذا العدد أيضاً لا يساعد عليه الاعتبار، وذلك لأمرين:

الأوّل: إنَّ الـذى ذكر هـذا العدد قد أغفل ما حدث من تخاذل وهروب أكثر أفراد الجيش إلى معسكر معاوية، حيث هرب مع عبيدالله بن عباس ثمانيـة آلاف (۱)، وهرب أحـد قـادة الجيش وكان من كنـدة مع مائتى شـخص من خاصـته (۲)، وأكبر الظن أنَّ ذكر عـدد الأربعين ألفاً ناشئ من ملاحظة العدد الذى اجتمع لأميرالمؤمنين (ع) قبل شهادته، كما يظهر ذلك من عبارة ابن الأثير المتقدمة.

وأمّا ما ذكره الطبرى عن الزهرى، من اعتبار من بقى مع قيس بن سـعد، بعـد هروب عبيدالله، أربعين ألفاً، فهو يتنافى مع الروايات، التى تنصّ على أنَّ الذين أرسـلهم الإمام الحسن (ع) مع عبيدالله هم اثنا عشـر ألف رجل فقط (۳)، وعند هروبه هرب معه ثمانية آلاف، فلم يبقَ مع قيس بن سعد، الذى صار قائداً للجيش بعد هروب عبيدالله إلّا أربعة آلاف، لاأربعون ألفاً.

الثانى: إنَّه لا يتَّفق مع كلمة الإمام الحسن (ع) المتقدّمة، التى أشار فيها إلى عدد الجيش، والتى لم تكن تدل على أكثر من عشرين ألفاً على أكبر تقدير.

العدد المعقول الذى يمكن الوثوق به

إنَّ مـا يمكن الاطمئنان إليه من العـدد النهائى للجيش، هو عشـرون ألفاً كحـدٍّ أقصـى، وهو ما يمكن فهمه من عبارة الإمام الحسن (ع) المتقدمة.

۱- تاريخ اليعقوبى، ج۲، ص۲۱۴.

۲- بحارالأنوار، العلامة المجلسى، ج۴۴، ص۴۴.

۳- شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج۱۶، ص۲۲.

ص:۸۹

وعلى أى حال، فإنَّ ما نقله القفارى من أنَّ عدد الجيش أكثر من مائة ألف، مجانب للصواب وغير مطابق للحقيقة.(۱)

وقفة مع رواية الصلح (إنّ ابنى هذا سيّد ولعلَّ الله. . .)

أمَّا ما استدل به القفارى من حديث: (إنَّ ابنى هذا سيد، ولعلّ الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين) ، على أفضلية وأرجحية تنازل الإمام الحسن (ع) عن الإمامة، بالنسبة إلى إمساكها والتشبّث بها.

فالجواب

۱- عدم ثبوت هذه الرواية من طرقنا؛ ولذا لا يمكن التعويل عليها لإثبات شيء

۲- إنَّ هذه الرواية آحاد، ومُختلَف فى وصلها وإرسالها

ذكر الشيخ حسن بن فرحان المالكى مقارنة بين هذا الحديث وحديث (عمار تقتله الفئة الباغية) حيث قال:

ويردِّدون كثيراً حديث (ابنى هذا سيد ولعلّ الله أن يصلح به. . .) ويهملون حديث عمار (تقتله الفئة الباغية) ، مع أنَّ حديث صلح الحسن آحاد ومُختلَف فى وصله وإرساله، كما ذكر الدار قطنى فى العلل، بينما حديث عمار متواتر ومتَّفق على صحته. (۲)

فهو يرى أنَّ حديث الصلح حديث آحاد لا يعوَّل عليه، وكذلك مختلَف فى إرساله وقطعه، فلا يمكن الوثوق به.

۱- وللتفصيل أكثر حول عدد الجيش، راجع: صلح الحسن ع ، الشيخ راضى آل ياسين، ص۱۱، وما بعدها.

۲- قراءة فى كتب العقائد، ص ۷۴.

ص:۹۰

۳- الروایة نبوءة بالمستقبل، تدلّ علی التوقع والاحتمال

إنَّ هذه الروایة إنْ دلّت، فإنَّما تدل علی الإخبار عمّا سوف یحصل فی المستقبل من الصلح، فهی بعبارة أخری نبوءة بالمستقبل، ولا دلالة فیها علی أفضلیة وأرجحیة الصلح، ولا دلالة للتعبیر ب- (لعل) علی الرجحان والتمنّی، بل هی تدل علی التوقع والاحتمال والتقلیل.

۴- الروایة لیس فیها دلالة علی رجحان الصلح فی ذاته.

لو سلَّمنا دلالة الروایة علی رجحان الصلح، فهی لا تدل علی رجحان نفس الصلح فی حدِّ ذاته، وفی أی ظرف کان، فإنَّ الإمام الحسن (ع) هو الإمام بلا منازع، وهو الذی بایعه المهاجرون والأنصار، وهو الأعلم بالمصلحة.

فرجحان الصلح یکون مؤدیاً للغرض فیما لو کان ترکه یؤدّی إلی تسلط ذلک الباغی بالقوة علی الحکم، ممّا یؤدِّی إلی سفک دماء الثلة الباقیة من أنصار الإمام الشرعی، وتعریض حیاة الإمام إلی الخطر، حیث ینتهی إلی ضیاع الحق وذهاب الدماء هدراً.

إذن، لو سلَّمنا دلالة الروایة علی رجحان الصلح، فهی إنَّما تدل علیه فی حالة فقدان الناصر، وکون الإصرار علی القتال یؤدِّی إلی ضیاع الحق، فلا یمکن اعتبار الصلح راجحاً علی أی حال.

۵- إنَّ التعبیر عن الطائفتین بالمسلمة لا ینفع طائفة معاویة، ولا یحوّلها من طائفة باغیة إلی طائفة محقّة

نعم هی مسلمة ظاهراً، لکنَّ وصمة البغی قد التصقت بها منذ أن قتلت عماراً، وخرجت علی إمام زمانها أمیر المؤمنین (ع) والإمام الحسن (ع) ،

ص:۹۱

ولم‌تتب عن تلك الخطايا، وإنَّما تمادت فی غيّها واستمرت علی أفعالها.

وأكبر الظن أنَّ هذه الطائفة هی التی وضعت هذا الحديث، عندما هدأ بالها واستتبَّت لها الأمور؛ دعماً لموقفها وتبريراً لتمرّدها.

إذن هذه الشبهة ضعيفة، وليس فيها ما يدل علی تنازل الإمام الحسن لمعاوية، فلم يعط الإمام الشرعية له، بل كان الصلح وثيقة كشفت ما يكنّه معاوية من الحقد والبغض للإسلام، والإمام قد بيَّن الوجه الحقيقی لهذا الرجل، وأنَّه لا يمثِّل الإسلام وذلك حينما خاطبه الإمام الحسن (ع) بقوله: فاليوم فليتعجَّب المتعجِّب من توثّبك يا معاوية علی أمرٍ لست من أهله، لابفضل فی الدين معروف، ولا أثر فی الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدی قريش لرسول الله (ص) ولكتابه، والله حسيبك، فستردّ فتعلم لمَن عقبی الدار، وبالله لتلقينَّ عن قليل ربّك، ثُمَّ ليجزينّك بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد.(۱)

۱- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحديد، ج ۱۶، ص ۳۴.

ص:۹۲

ص:۹۳

الشبهة الثانية: الامام الحسن مزواج مطلاق

اشارة

من الشبهات التى تُلاك على الألسن، هى أنَّ الإمام الحسن أقرب إلى الدعة والراحة منه إلى الحرب والجهاد، لذا جاء الصلح لهذا الغرض، من دون مراعاة المصلحة الإسلامية العُليا. معتمدين فى ذلك على بعض الروايات التى وردت فى مصادر الفريقين، والتى نعتقد أنَّها محل تأمُّل ودراسة.

الروايات التأريخية والحديثية

لقد أسهب المؤرِّخون والمُحدِّثون عن زوجات الإمام الحسن (ع) ، بل قد وصل الأمر إلى حدِّ المبالغة المُفرطة، بحيث نجد أنَّ أرقام الزيجات وصل إلى الخمسين والستين، بل والسبعين.

رواية المدائنى

قال المدائنى (۱): «أُحصيت زوجات الحسن بن على، فكنَّ سبعين

۱- قال ابن حجر فى ترجمة المدائنى: «محمد أبو الحسن المدائنى الأخبارى. ذكره ابن عدى فى الكامل فقال: على بن محمد بن عبدالله بن أبى سيف المدائنى، مولى عبد الرحمن بن سمرة، وليس بالقوى فى الحديث، وهو صاحب الأخبار، قلَّ ماله من الروايات المسندة» . لسان الميزان، ج۴، ص ۲۵۳. فالرجل ليس قوى الحديث، وكذلك كثيراً ما تكون أسانيده مُرسلَة، وأيضاً هو مولى لعبد الرحمن‌بن سمرة الأموى، المشهور بعدائه للبيت العلوى.

ص:۹۴

امرأة» .(۱)

وروی أیضاً، قال: «وخطب إلی رجل فزوَّجه، وقال له: إنِّی مزوّجک، وأعلم أنّک ملق طَلِق غلق، ولکنَّک خیر الناس نسباً، وأرفعهم جداً وأباً» .(۲)

ثُمَّ علّق ابن أبی الحدید قائلاً: «قلت: أمَّا قوله ملق طِلق، فقد صدق، وأمَّا قوله غلق فلا، فإنَّ الغلق الکثیر الضجر» .(۳)

فهنا ابن أبی الحدید یصدّق بمقالة المدائنی فی کون الإمام کثیر الطلاق، ولکنّه یعترض علی ضجره.

روایة ابن کثیر

وقال ابن کثیر: «قالوا: وکان کثیر التزوّج، وکان لا یفارقه أربع حرائر، وکان مطلاقاً مصداقا، یُقال إنَّه أحصن سبعین امرأة، وذکروا أنَّه طلَّق امرأتین فی یوم واحد. . .» .(۴)

ولعلَّ ابن کثیر اعتمدً علی المدائنی فی نقل هذا العدد، بدون التحقیق فی هذه المسألة، فالرجل ناقل لیس إلّا.

روایة أبی طالب المکّی

بل وتعدّی هذا الرقم إلی المئتین والخمسین، والثلاثمائة، بحیث نقل

۱- شرح نهج البلاغة، ج۱۶، ص ۲۲.

۲- المصدر نفسه، ص ۲۱.

۳- المصدر نفسه.

۴- البدایة والنهایة، ابن کثیر الدمشقی، ج۸، ص ۴۲.

ص:۹۵

أبوطالب المکی (۱)فی قوت القلوب:

وتزوّج الحسن بن علیّ رضی الله عنهما مائتین وخمسین امرأة، وقیل ثلاثمائة، وقد کان علیّ (ع) یضجر من ذلک ویکره، حیاءً من أهلیهنَّ إذا طلقهنَّ، وکان یقول: إنّ حسناً مُطلّقاً فلا تنکحوه. . . .(۲)

روایة الکلینی والبرقی

وکذلک روی الشیخ الکلینی(۳)فی الکافی بعض هذه الروایات(۴)، وکذلک البرقی فی المحاسن. (۵)وغیر ذلک.

الجواب

معاییر وضوابط قبول الروایات

وللتحقیق فی هذا الأمر، لابد أن نناقش ونقیّم تلک الروایات، من

۱- قال الخطیب البغدادی فی ترجمته: «محمد بن علی بن عطیة، أبو طالب، المعروف بالمکی، صنَّف کتابا سمَّاه قوت القلوب علی لسان الصوفیة، ذکر فیه أشیاء منکرَة مستشنعَة فی الصفات. . . قدم بغداد فاجتمع الناس علیه فی مجلس الوعظ، فخلط فی کلامه. وحُفظ عنه أنَّه قال: لیس علی المخلوقین أضرّ من الخالق. فبدَّعه الناس وهجروه» . تاریخ بغداد، ج۳، ص ۳۰۳. وذکر الصفدی عن ابن الجوزی: «قال ابن الجوزی فی المرآة: ذکر فی قوت القلوب أحادیث لاأصول لها» . الوافی بالوفیات، ج ۴، ص ۸۷. فالظاهر أنَّ الرجل غیر معتَمد عند المحدّثین؛ وذلک لخلطه وابتداعه، وأنَّه یأتی بأحادیث لا أصول لها.

۲- قوت القلوب، أبو طالب المکی، ج۲، ص ۴۰۸.

۳- الروایات التی وردت من طُرقنا، سواء ما رواه الشیخ الکلینی أو البرقی أو غیره، سنأتی علی مناقشة محتواها ومضمونها، فلا یمکن أن نسلّم بها؛ لفقدان المعاییر التی نُخضع تلک الروایات لها، ومنها: القران، والسنّة القطعیة، والعقل.

۴- الکافی، ج۶، ص ۵۶. ورویت أیضاً من طُرق أهل السنّة: المصنف، ابن أبی شیبة، ج۴، ص ۱۷۲؛ تاریخ مدینة دمشق، ج ۱۳، ص ۲۴۹.

۵- المحاسن، البرقی، ج۲، ص ۶۰۱.

ص:۹۶

حيث المحتوى والمضمون، بغضِّ النظر عن أسانيدها وما ورد من كثرتها.

فهناك معايير أُخرى لها مدخليـة فى صـدق أو رفض هـذه المرويات وهذه الحكايات، التى تناولها الفريقان الشيعى والسـنىّ على حدٍّ سواء.

فليس من الضرورة بمكان لو صحَّ سند رواية ما، أن نحكم بصحة محتواها ودلالتها.

ومن المعايير المهمة فى هذا المجال:

۱- عدم مخالفتها للكتاب.

۲- عدم مخالفتها للسنَّة النبوية القطعية.

۳- عدم مخالفتها لمُعطيات العقل.

۴- عدم مخالفتها للواقع.

۵- عدم مخالفتها للمسلَّمات التأريخية.

۶- عدم مخالفتها لضروريات المذهب.

وغير ذلك من تلك المعايير، التى سنأتى على تفصيلها من خلال أقوال علماء الفريقين.

إذن، فبعض الأحاديث، وإنْ سلَّمنا بصحة سندها جدلاً، لكن قد نصطدم بمخالفتها لهذه الموارد الآنفة الذكر.

العلماء الّذين أوردوا بعض هذه المعايير

۱. الشيخ المفيد

قال: «متى وجـدنا حـديثاً يخالفه الكتاب، ولا يصـح وفاقه له على حال أطرحناه، لقضاء الكتاب بـذلك وإجماع الأئمّة (عليهم السـلام) عليه. وكذلك إن وجدنا

ص:۹۷

حديثاً يخالف أحكام العقول، أطرحناه لقضية العقل» .(۱)

فكل حديث يخالف الكتاب، ولا يتوافق مع مفاهيمه ومعطياته، يجب طرحه، وكذلك العقل، يجب أن يُفعَّل ويُعطى مساحة فى تقييم الروايات من الناحية العملية، فكل حديث يخالفه وجب طرحه أيضاً.

۲. الشيخ الطوسى

قال: «فإن كان ما تضمَّنه هذا الخبر ما يدل على خلاف متضمَّنه، من كتابٍ أو سنّة أو إجماع، وجب إطراحه والعمل بما دلَّ الدليل عليه» .(۲)

فالمناط فى قبول محتوى الخبر عند شيخ الطائفة، هو موافقته للكتاب والسنّة والإجماع.

۳. العلامة التسترى

وكذلك نجد هناك معايير أُخرى ذكرها علماؤنا، منها ما ذكره العلامة التسترى، فقد ذكر جملة من تلك المعايير، وجدناها متناثرةً فى كتابه (الأخبار الدخيلة) ، نذكر منها:

أ – العرض على القرآن.(۳)

ب – العرض على السنّة القطعية.(۴)

ج – عرض الحديث على العقل.(۵)

۱– تصحيح اعتقادات الإمامية، المفيد، ص ۱۴۹.

۲– عدة الأصول، الشيخ الطوسى، ج۱، ص ۱۴۵.

۳– الأخبار الدخيلة، التسترى، ج۳، صص ۳۱۳، ۳۱۴، ۳۱۶.

۴– المصدر نفسه، ج۱، صص ۱۱۶، ۱۴۷، ۱۴۸.

۵– المصدر نفسه، صص ۲۳۶، ۱۴۸.

ص:۹۸

د – مخالفة الحديث للواقع.(۱)

ه – عدم مطابقة الحديث مع شأن وأدب الأئمَّة.(۲)

و – مخالفته لضروريات المذهب.(۳)

۴. العلامة السيد محمد حسين الطباطبائى

وقد ذكر السيد الطباطبائى معياراً طالما كرَّره فى بعض كتبه، وهو العرض على القرآن، قال:

إن الحديث يحتاج إلى التأييد القرآنى، وعلى هذا يجب عرض الحديث على القرآن، كما ورد فى أحاديثٍ عن الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) .

وعليه سبب النزول الوارد حول آية من الآيات، لو لم يكن متواتراً أو قطعى الصدور، يجب عرضه على القرآن، ممَّا وافقه مضمونه مضمون الآية يؤخَذ به ويُعمَل عليه.

ومعنى هذا أنَّ الحديث هو الذى يُعرَض دائماً على القرآن لا القرآن، يُعرَض على الحديث. وهذه الطريقة تُسقط أكثر أحاديث أسباب النزول عن الاعتبار.(۴)

وقال أيضاً:

لم تزل تجرى هذه السيرة، وهى الصفح عن عرض الحديث على القرآن، مستمرّة بين الأُمّة، عملاً حتى اليوم، وإن كانت تنكرها قولاً، و قال الرسول: (يا ربّ إنَّ قومى اتَّخذوا هذا القرآن مهجوراً) اللّهم إلّا آحاد بعد آحاد.

۱- الأخبار الدخيلة، ج۱، ص ۲۵۰ و ج۴، ص ۳۰۷.

۲- المصدر نفسه، ج۱، ص ۹۹ و ج۲، ص۳۰۵.

۳- المصدر نفسه، ج۱، ص۱۰۸.

۴- القرآن فى الإسلام، محمد حسين الطباطبائى، صص ۱۲۵ و ۱۲۶.

ص:٩٩

وهذا التساهل بعينه هو أحد الأسباب فى بقاء كثير من الخرافات القومية القديمة بين الأمم الإسلامية، بعد دخولهم فى الإسلام، والداء يجرّ الداء.(١)

وهنا السيد الطباطبائى، فى هذا النص، يتألَّم ويشتكى من هذا التساهل، بل ويسمّيه الداء والمرض، ويرى أنَّ علَّته وسببه الأساس هو هجر القرآن، والابتعاد عن الفهم الحقيقى لمفرداته ومعانيه، التى لابد للأمَّة أن تعرض كلّ ما سوى القرآن على القرآن.

وكذلك نجد نفس هذا الأمر – وهو تقييم نقد المحتوى للحديث – يُردّده علماء أهل السنة.

٥. الخطيب البغدادى

قال الخطيب البغدادى: «ولا يُقبل خبر الواحد فى منافاة حكم العقل، وحكم القرآن الثابت المُحكَم، والسنَّة المعلومة، والفعل الجارى مجرى السنَّة، وكل دليل مقطوع به» .(٢)

فالخطيب يرى عرض الحديث على العقل، وحكم القرآن، والسنة، والدليل المقطوع به، فلو خالف هذه المعايير، سقط عن الاعتبار، بغض النظر عن صحَّة السند.

٦. ابن الصلاح

وقال ابن الصلاح فى المقدّمة:

والحديث الصحيح ليس من شرطه أن يكون مقطوعاً به فى نفس الأمر،

١- تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائى، ج ٥، ص ٢٧٤.

٢- الكفاية فى علم الدراية، الخطيب البغدادى، ص ٤٧٢.

ص:١٠٠

إذ منه ما ينفرد بروايـة عـدل واحـد، وليس من الأخبـار التى أجمعت الأُمَّة على تلقّيها بالقبول. وكـذلك إذا قالوا فى حـديث: إنَّه غير صحيح، فليس ذلك قطعا بأنَّه كـذب فى نفس الأمر، إذ قـد يكون صـدقاً فى نفس الأمر، وإنَّما المراد به: أنّه لم يصحّ إسناده على الشرط المذكور.(١)

فالمعيار عند ابن الصلاح تلقّى الأُمَّة له بالقبول.

٧. الجصاص

قال: «وممّا يردّ به أخبار الآحاد أن ينافى موجبات أحكام العقول؛ لأنَّ العقول حجـة الله، وغير جائز انتقاض ما دلَّت عليه وأوجبته، وكل خبر يضادّ حجة العقل فهو فاسد غير مقبول» .(٢)

٨. ابن القيم الجوزية

وقـد تناول ابن القيم الجوزيـة هـذه المسألـة بنوع من التفصـيل، وبيَّن نقد المحتوى بشـكل وافى فى كتابه (المنار المنيف فى الصـحيح والضعيف) ، ومن جملة ما ذكره:

مخالفـة الحـديث لصـريح القرآن، واشـتماله على المجازفات التى لا يقل بها رسول الله (ص) ، ومناقضـة الحـديث لما جاءت به السـنَّة الصريحة، وأن يكون الحديث باطلاً فى نفسه، وأن يقترن بالحديث من القرائن التى يُعلم منها أنَّه باطل، وغير ذلك.(٣)

١- مقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح، ص ١٧.

٢- الفصول فى الأصول، الجصاص، صص١٢١ و ١٢٢.

٣- المنار المنيف فى الصحيح والضعيف، ابن القيم الجوزية، ج١ ص ٥٠ وما بعدها.

ص:۱۰۱

إذن، فليس من اللازم أنَّه كلَّما صحَّ السند صحّ مضمون الحديث، فليس دائماً يكون المدار على رواة الحديث، فالرواة وإن حازوا شروط العدالة والضبط، ولكنَّهم يبقون فى دائرة عدم العصمة، فالخطأ والوهم و. . . جائز فى حقِّهم، وإن وصفهم أصحاب الجرح والتعديل بكونهم ثقات وأثبات، وما شابه ذلك.

تقييم عام لأخبار (زواج وطلاق الإمام الحسن (ع)) وفق قواعد ومعايير قبول الروايات

اشارة

من هنا جاز لنا أن نقيّم الروايات بشكل عام وفق هذه الرؤية التى تقدَّم ذكرها.

۱. عصمة الإمام تأبى قبول هذا العدد الكبير

إنَّ الروايات التى ذكرت هذا العدد المهول من الزواج والطلاق، تتنافى مع عصمة الإمام التى نادى بها القرآن الكريم؛ لأنَّه ورد أنَّ أهل البيت مشمولين بآية التطهير، والتى تعنى العصمة، قال تعالى: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب:۳۳) .

والسنّة الشريفة حدَّدت هؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً، فقد روى مسلم فى صحيحه:

عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج النبى (ص) غداةً وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثُمَّ جاء الحسين فدخل معه، ثُمَّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثُمَّ جاء على فأدخله، ثُمَّ قال: إنّما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً.(۱)

۱- صحيح مسلم، ج ۷، ص ۱۳۰.

ص:۱۰۲

وبطبيعة الحال أنَّ المعصوم لا يمكن أن يرتكب هكذا فعل، بحيث يصل الأمر به إلى تطليق خمسين امرأة، أو ثلاثمائة، فهذا الفعل بنظر الإمام يُعدّ ذنباً.

فهذه الروايات لا يمكن أن نطمئنَّ بمصداقيتها؛ فهى تحطّ من كرامة الإمام (ع) ، ولعلّ الإنسان العادى إذا فعل هذا الأمر يوبِّخه العُرف، فكيف بالمعصوم؟ !

ولعل إشكالاً يرد، أنَّه كيف تثبتون عصمتهم (عليهم السلام) بمقتضى هذه الآية؟

والجواب: «إنَّ تقريب الاستدلال بها على عصمة أهل البيت هو ما ورد فيها من حصر إرادة إذهاب الرجس - أى الذنوب - عنهم بكلمة (إنَّما) ، وهى من أقوى أدوات الحصر، واستحالة تخلُّف المُراد عن الإرادة بالنسبة له تعالى من البديهيات، لمَن آمن بالله عزوجل، وقرأ فى كتابه العزيز: (إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . وتخريجها على أساسٍ فلسفى من البديهيات أيضاً، لمَن يُدرك أنَّ إرادته هى العلّة التامة، أو آخر أجزائها، بالنسبة لجميع مخلوقاته، واستحالة تخلُّف المعلول عن العلّة من القضايا الأوَّلية، ولا أقل كونها من القضايا المسلَّمة، وليس معنى العصمة إلَّا استحالة صدور الذنب عن صاحبها عادة» .(۱)

إذن هذه الرواية تتصادم مع الكتاب، وكذلك السنَّة القطعية، التى حدَّدت مصاديق هؤلاء المعصومين؛ لأنَّه وردت روايات كثيرة فى فضائلهم وعظمتهم من طُرق الفريقين. ومنها: إنَّهما سيدا شباب أهل الجنة، وهما إمامان قاما أو قعدا، أو هما أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً برسول‌الله (ص) ، وقد

۱- انظر: الأصول العامة للفقه المقارن، محمد تقى الحكيم، ص ۱۴۹.

ص:۱۰۳

تقدَّم هذا الكلام حول فضائله (ع) فى البحوث السابقة.

إذن، لا يمكن أن تنسجم هذه الروايات مع هذا الفعل المزعوم.

۲- معاوية (الخصم للإمام الحسن) لم يذكر هذه القضية فى مناظراته

ومن الأمور التى يجب أن نلحظها ونُلفت النظر إليها - والتى تتصادم مع مُعطَيات العقل - هى أنَّ معاوية العدو اللدود للإمام على (ع) ، والـذى كان يُثير الإحن والشـبهات، ويتصـيَّد فى الماء العكر كما يُقال؛ لم نجـده يـذكر هـذا الزواج والطلاق للإمام الحسن، وهـذا فيه دلالة أنَّ هذه الدعوى مُفتعلَة وباطلة، ولعلَّها أُثيرت بعد وفاة الحسن (ع) ، فى زمن الخلفاء العباسيِّين.

۳- كُتب التأريخ والأنساب لم تطرح مثل هذا العدد

لو تتَّبعنا كتب التأريـخ وكتب السِّير والرجال والأنساب، التى ذكرت عـدد الزوجات وأسـماءهنَّ، لم نجدها تصل إلى هذا العدد المبالغ فيه، والـذى يصل إلى الخمسـين، بل المئات؛ فقـد ذكر أكثر من مؤرِّخ أنَّه تزوَّج من: خولـة بنت منظور بن زبان الفزارية، وأُمُّها مليكة بنت خارجة بن سـنان، وتزوَّج أُمّ إسـحاق بنت طلحة بن عبيدالله، فولدت له ابناً سمّاه طلحة، وتزوَّج أُمّ بشر بنت أبى مسعود الأنصارى، فولـدت له زيد بن الحسن، وتزوَّج جعدة بنت الأشـعث بن قيس، وهى التى سـقته السم، وتزوَّج هند ابنة سـهيل بن عمرو، وحفصة ابنة عبـدالرحمن بـن أبى بكر، وتزوَّج امرأةً من كلب، وتزوَّج امرأة من بنـات عمرو بن أهتم المنقرى، وامرأةً من ثقيـف، فولـدت له عمراً، وتزوَّج امرأةً من بنات علقمةبن‌زرارة، وامرأةً من بنى شيبان، من آل همام بن مرة.(۱)

۱- انظر: شرح نهج البلاغة، ج۱۶، ص ۲۱.

ص:۱۰۴

فالعدد لا يتجاوز الاثنى عشر امرأة، أو أكثر أو أقل، وهذا فى العرف السائد آنذاك لا يُعدّ شيئاً مَشيناً، حتى يُعاب عليه. ولو فرضنا العدد الذى أحصاه الرواة أو المؤرّخون، وأنَّه تزوَّج المائتين أو الثلاثمائة؛ لتجاوز أولاده هذا العدد المذكور.

أضف إلى ذلك أنَّ العُرف نفسه يستهجن كثرة هذه التطليقات؛ لأنَّها تخلق الضغائن أو المشاجرات، مع أنَّ التأريخ لم ينبس بشفة عن ذكر هذه الحالات.

إذن، التأريخ ينأى عن مثل هذا الكلام؛ لخلوِّه منه.

۴- عدد أولاد الإمام الحسن لا يتناسب مع هذه الكثرة من الزوجات

وكذلك لو فتَّشنا عن عدد أولاد الإمام الحسن (ع) ، لم نجد ذلك العدد - لو فرضنا أقلّه وهو الخمسين - الذى يتناسب مع عدد الزوجات المُبالغ فيه. قال ابن عنبة:

(وولد) أبى‌محمد الحسن - فى رواية شيخ الشرف العبيدلى - ستة عشر ولداً، منهم خمس بنات، وأحد عشر ذكراً، هم: زيد، والحسن المثّنى، والحسين، وطلحة، وإسماعيل، وعبدالله، وحمزة، ويعقوب، وعبدالرحمان، وأبو بكر، وعمر. (۱)

وقال أبو نصر البخارى: «أعقب سيدنا أبو محمد الحسن بن على بن أبى‌طالب (ع) ثلاثة عشر ذكراً وستّ بنات، العقب منهم لاثنين لا غير، وابنة واحدة» .(۲)

۱- عمدة الطالب، ابن عنبة، ص ۶۸.

۲- سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخارى، ص ۴.

ص:۱۰۵

إذن، يتّضح أنَّ العدد المذكور، وهو تسعة عشر من الأولاد والبنات، لايتناسب مع زواجِ خمسين امرأة، فضلاً عن مئة.

بل إنَّ عدد الأولاد التسعة عشر يكاد يكون طبيعياً، لو قسناه فى عرفنا الحالى، فمَن تزوَّج امرأتين قد تُنجِب له هذا العدد.

٥- الشريعة أصَّلت مبدأ الاستمرار فى العلاقة الزوجية، ونهت عن الطلاق بصورة مغلَّظة

إنَّ فلسفة تشريع الطلاق تتوقَّف على عوامل لا يمكن للزوج الاستمرار معها، وهى ظروف طارئة تُلجئ الزوج إلى الطلاق، ولكنَّ الشريعة أصَّلت مبدأ الاستمرار فى العلاقة الزوجية، ونهت بشكل كبير عن الطلاق الذى يكون غير مُبرَّراً. وقد وردت روايات تنهى عنه بشكل يُثير الدهشة، لما تترتَّب عليه من آثارٍ سلبية، تهدم الأُسرة والمجتمع.

ومن الروايات فى هذا الصدد، قول رسول الله (ص) : «ما من شىء أبغض إلى الله عزّ وجل من بيت يخرب فى الإسلام بالفرقة» (۱)

وقال الإمام الصادق: «ما من شىء مما أحلّه الله أبغض إليه من الطلاق» . (۲)

وعن رسول الله (ص) ، قال: «تزوَّجوا ولا تطلِّقوا؛ فإنَّ الطلاق يهتزُّ منه العرش» . (۳)

من هنا يرد التساؤل: هل أنَّ الإمام الحسن (ع) ، عند اختياره لزوجاته،

۱- الوسائل، الحر العاملى، ج ۲۰، ص۱۶.

۲- الكافى، ج۶، ص ۵۴؛ سنن أبى داود، السجستانى، ج ۱، ص۴۸۴.

۳- الوسائل، الحر العاملى، ج ۲۲، ص۹؛ الجامع الصغير، السيوطى، ج ۱، ص۵۰۵؛ تفسير القرطبى، ج۱۸، ص ۱۴۹.

ص:۱۰۶

لم‌يكن دارساً لهذا الموضوع دراسةً دقيقة وموضوعية؛ بحيث لا يترتّب عليه هذه الآثار، وهو سليل النبوّة وهو الإمام المعصوم؟

بالطبع العقل لا يمكن أن يصدّق بهذه المقولة؛ لأنَّ الإمام هو سيّد شباب أهل الجنة، وهو العارف بالتشريعات الإسلامية الناهية عنه، فلا يمكن أن يتجرّأ الإمام ليهزّ عرش الرحمن مئة مرة أو أكثر، أو أن يُخرّب بيوت الإسلام بالفرقة. أضف إلى ذلك أنَّ هذا يتنافى ويتصادم مع معيار عدم المطابقة مع شأن وأدب الأئمَّة وخلقهم الذى تقدَّم الكلام عنه، بل ويتصادم مع الواقع أيضاً.

٦- واقع المرحلة التى يعيشها الإمام الحسن تأبى قبول هذا العدد المبالغ فيه

إنَّ الواقع الذى كان يعيشه الإمام الحسن (ع) ، فى تلك الفترة الحسّاسة والحرجة، تمنعه قهراً عن التفكير بهذه الكثرة من الزوجات، فضلاً عن القيام به، ابتداءً بالحروب التى نشأت فى زمن أبيه، فى صفين والنهروان والجمل وغيرها، وانتهاءً بخلافته وما مرّ بها من أزمات مع معاوية، وعدمُ فهم، بل وجهل الأُمّة لدور الإمام الحسن فى الصُلح. . . إلى أن انتهت حياته شهيداً بالسمّ على يد زوجته.

فهل يُعقَل بعد هذا كلّه، أن يكون كل همّ الإمام الحسن (ع) هو الزواج والطلاق، ويترك المهام المُلقاة على عاتقه، وهى حفظ الرسالة، والإسلام برمَّته، ممَّن يتربَّصون به، من أمثال معاوية، المعروف بدهائة وانتهازه للفرص للوقيعة بالإمام (ع) ؟ !

إذن، ممَّا تقدَّم يتَّضح بطلان وافتعال هذه الدعوى، وأنَّها لا ترقى لمستوى الصحة، وإنْ وردت فيها بعض الأسانيد الصحيحة، وكما تقدّم، إنَّها تتصادم مع بعض المعايير، التى تخرجها عن دائرة الاعتبار، كالكتاب والسنّة والعقل،

ص:۱۰۷

والواقع، وغير ذلك. وبالتالى فهذه الروايات لا تصلح للإثبات، فهى مخدوشة من حيث دلالتها على صحّة هذه الوقائع.

الخلاصة

إنَّ هـذه الروايات، بمُجملها، محل نظر؛ لأنَّها تتصادم مع بـديهيات ومسلَّمات الكتاب والسـنّة، والتأريـخ والعقل والواقع، فلا يمكن أن نذعن ونصدِّق بها.

إذن، نعتقد أنَّ هناك تجنّ وافتعال واضح على الإمام الحسن فى هذه

الشُـبهة، وهو برىء منهـا، وقـد تقـدَّم فى بحوثنـا السابقـة أنَّ الإمـام الحسن عاش لحظات حرجـة مع أُمته وجيشه، وكيف عالـج الأُمور بحكمة وعقلانية قلَّ نظيرها، وحفظ الإسلام والشيعة بأتمِّ وجه.

ص:۱۰۸

ص:۱۰۹

الشبهة الثالثة: اختلاف الحسنان (علیهما السلام) فی‌السلم و الحرب

اشارة

لعل واحدة من الشبهات المثارة هی: أنَّ الإمام الحسن (ع) اختار الصلح فلماذا آثر الصلح والدعة والراحة دون التضحیة والشهادة والجهاد؟ مع ان الامام الحسین (ع) آثر الاصلاح و اختار طریق الجهاد فاختلف السیرتان.

الجواب: حقائق لها مدخلیة فی حلِّ هذه الإشکالیة

لفهم هذا التساؤل، لابدَّ أن نوضِّح بعض الحقائق التی لها مدخلیة فی حلِّ هذه الإشکالیة.

الحقیقة الأُولی: تأصیل الدور الفقهی لعملیة الصلح أو الحرب فی الإسلام

اشارة

الفقه الإسلامی یقرِّر حقیقة أنّه لیس الصلح أو الحرب هما القاعدة، بل متی ما اقتضت الضرورة والمصلحة والهدف وحقوق المسلمین، فلابدَّ أن یُؤخَذ القرار الصائب فی تشخیص هذه الضرورة، وتقدیم أحدهما علی الآخر، سواء کانت الحرب أم الصلح، فالمعیار هو المصلحة الإسلامیة العُلیا للإسلام، مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف
التی تتلاءم مع کلا الأمرین، سواء کان الصلح أم الحرب.

ص:۱۱۰

آراء الفقهاء

اشارة

ولو تتبَّعنا آراء الفقهاء فی هذه المسألة، نجد أنَّهم یعطون الضابط والمعیار فیها، وهو تقدیم مصلحة المسلمین فی هذا الشأن.

۱. العلامة الحلّی

قال فی جواز المهادنة والصلح: «وهی المعاهدة علی ترک الحرب مدَّةً من غیر عوض، وهی جائزة مع المصلحة للمسلمین، وواجبة مع حاجتهم إلیها، أمّا لقلَّتهم، أو لرجاء إسلامهم مع الصبر، أو ما یحصل به الاستظهار» . (۱)

۲. الشهید الثانی

قال فی جواز المهادنة أیضاً: «وهی جائزة مع المصلحة للمسلمین، لقلّتهم أو رجاء إسلامهم مع الصبر، أو ما یحصل به الاستظهار، ثُمَّ مع الجواز قد تجب مع حاجة المسلمین إلیها، وقد تُباح لمجرَّد المصلحة التی لاتبلغ حدّ الحاجة. ولو انتفت (المصلحة) انتفت الصحّة» .(۲)

۳. العلامة الطبرسی

قال: «جواز الصلح مع الکفار والبُغاة، إذا خاف الإمام علی نفسه، أو علی المسلمین، کما فعله رسول الله (ص) عام الحدیبیة، وفعله أمیر المؤمنین (ع) بصفّین، وفعله (ع) مع معاویة من المُصالحة؛ لمّا تشتت أمره، وخاف علی نفسه وشیعته» .(۳)

۱- قواعد الأحکام، العلامة الحلی، ج۱، ص۵۱۶.

۲- شرح اللمعة الدمشقیة، الشهید الثانی، ج۲، ص ۴۰۰.

۳- تفسیر مجمع البیان، الطبرسی، ج ۲، ص۳۵.

ص:۱۱۱

۴. العلامة مرتضى المطهرى

قال: «لو سُئلنا: هل الإسلام دين صُلح أم دين حرب؟ فبماذا نجيب؟ فإذا رجعنا إلى القرآن، نرى تشريع الحرب كما نرى تشريع الصلح، فالآيات التى تدعو للحرب مع الكفار والمشركين كثيرة، كقوله تعالى: (وَ قاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا) (البقره:۱۹۰) . وغيرها من الآيات، كما أنَّ هناك آيات فى الصلح، كقوله تعالى: (وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها) (الأنفال:۶۱) . وفى آية أخرى (وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ) (النساء:۱۲۸) .

إذن، الإسلام دين أيّهما؟ الإسلام لا يجعل الصلح قاعدة فى كل الظروف، كما أنَّه لا يقبل الحرب دائماً، بل هما تابعان للظروف والأهداف، والمسلمون سواء كانوا فى زمن الرسول (ص) أم فى زمن أميرالمؤمنين (ع) ، أم فى زمن الإمام الحسن، أم فى زمن الإمام الحسين، أم الأئمّة الآخرين (عليهم السلام) أم فى زماننا، ففى كل زمان، وعلى أىِّ حال، يجب أن يكون سعيهم لتحقيق الهدف، وهدفهم الإسلام وحقوق المسلمين. يجب أن يأخذوا الظروف والأوضاع بعين الاعتبار، فإن كانوا بالقتال يمكنهم تحقيق الهدف فى شكل أفضل، فعليهم سلوك هذا الطريق، وإذا رأوا أحياناً أنَّ الهدف يمكن تحقيقه بالصلح بشكل أفضل، فعليهم اختيار هذا السبيل» . (۱)

۵. العلامة العينى

قال: «قال أصحابنا: يجوز الصلح مع الكفار بمالٍ يُؤخَذ منهم أو يدفع إليهم، إذا كان الصلح خيراً فى حقِّ المسلمين» .(۲)

۱- سيرة الائمة الأطهار، مرتضى المطهرى، ص ۶۸.

۲- عمدة القارى، العينى، ج ۱۴، ص ۱۸.

ص:۱۱۲

إذن، فجواز الصلح والحرب خاضع للمصلحة وحقوق الناس، فإذا تحدَّدت المصلحة بأحدهما، جاز للإمام أو الحاكم أن يختار الأصلح وفقاً لهذه الضرورة.

الحقيقة الثانية: تنوُّع الدور ووحدة الهدف

اشارة

وهـذا ما نطق به السـيد الشـهيد الصدر قائلاً: وفى عقيدتى، إنَّ وجود دور مشترك مارسه الأئمّة جميعاً، ليس مجرد افتراض نبحث عن مبرِّراته التاريخيـة، وانَّما هو ممَّا تفرضه العقيـدة نفسـها، وفكرة الإمامـة بالذات؛ لأنَّ الإمامة واحدة فى الجميع، بمسؤولياتها وشـروطها، فيجـب أن تنعكس انعكاسـاً واحـداً فى شـروط الأـئمَّة (عليهـم السـلام) وأدوارهـم، مهمـا اختلفـت أدوارهـا الطارئـة بسـبب الظروف والملابسـات، ويجب أن يُشـكِّل الإـئمَّة بمجموعهم وحـدةً مترابطـة الأـجزاء، ليواصـل كـلَّ جزءٍ من تلك الوحـدة الـدور للجزء الآخر ويكمِّله» .(۱)

إنَّ أدوار الأـئمَّة (عليهـم السـلام) فى المنظومـة الشـيعة تُمثِّل وحـدة متكاملـة فى الأسـلوب والمنهـج، وإن اختلفت طريقـة العمـل، تبعاً للظروف والملابسـات التى تحيـط بكـل إمام من أئمَّة أهل البيت (عليهم السـلام) ، وأهـدافهم هى صـيانة الإسـلام من الانحراف، وهو واحد لا ينفصل ولا يتجزأ.

وفى ظلِّ هذه النظرية التى أصّل لها السـيد محمد باقر الصدر، فلا يمكن أن نفصل ما جرى، أو ما فعله الإمام الحسن (ع) فى الصلح مع معاوية، عن الموقف الحسينى الذى قاتل يزيد واستشهد، فلا تناقض فى الموقف، بل هما صحيحان وينسجمان مع طبيعة الموقف الذى مرَّ به كل إمام فى ذلك الظرف

۱- أهل البيت تنوُّع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، ص۱۴۲.

ص:۱۱۳

الذی عاشه فی تلک الفترة، والهدف هو صیانة الإسلام والدین من الانحراف.

فلو فرضنا أنَّ الامام الحسین (ع) هو الأکبر سناً من الحسن، فعمله سیکون الصُلح مع معاویة، والعکس أیضاً سیفعله الإمام الحسن (ع) مع یزید، وسوف یبذل نفسه الشریفة للحفاظ علی هذا الهدف.

الأمَّة فی زمن الإمام الحسن کانت تعیش مرض الشک

لذا کان یری السید الشهید أنَّ الأُمَّة فی ظرف الإمام الحسن (ع) کانت تعیش محنة أو مرض الشک، وهذا المرض أیضاً عاشته الأُمّة فی زمن أبیه (ع) :

ذلک الشکُّ الذی نما عند الأُمّة فی زمن أمیر المؤمنین (ع) ، بالرغم من أنَّه لم یکن یوجد له أی مبرّر موضوعی، وبالرغم من هذا، استفحل هذا الشک، وامتُحن هذا الإمام العظیم (ع) بهذا الشک، ومات واستشهد والأُمَّة شاکَّة. . . ثُمَّ استسلمت الأُمَّة بعد هذا، وتحوَّلت إلی کُتلة هامدة بین یدی الإمام الحسن (ع) ، هذا کلّه بالرغم من أنَّ الشک لم یکن له مبرّر موضوعی، فکیف إذا افترضنا أنَّ الشک وُجدت له مبرِّرات موضوعیة بحسب الصورة الشکلیة.(۱)

إذن، کیف یعالج الإمام الحسن داء الشک فی الأُمَّة؟ ! فرأی أنَّ الحل الوحید، والأسلم، هو الصلح مع معاویة، وله مبرّراته التی فرضت علیه هذا الحل؛ لأنَّ معاویة حاول أن یخدع الأُمَّة وینصب نفسه الخلیفة الشرعی لرسول الله (ص) ، وسوف نوضِّح هذه المبرِّرات فی النقطة اللاحقة.

۱- أهل البیت تنوُّع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، صص۱۱ و۱۲.

ص:۱۱۴

وأمَّا الإمام الحسين (ع) ، فيرى السيد الشهيد أنَّ الأُمَّة فى تلك الفترة وذلك الظرف قد ضعفت إرادتها وماتت، وقد أصبحت لا تملك اىّ ارادة فى الرفض والاحتجاج، بل أصبحت يدها ولسانها ملك لشهواتها. قد فقدت إرادة التغيير لأوضاعها الفاسدة، قلوبهم مع الإمام، ولكنَّ سيوفهم عليه.(۱)

وفى هذا إشارة لما قاله الفرزدق: «لقينى الحسين (ع) فى منصرفى من الكوفة، فقال: ما وراءك يا أبا فراس؟ قلت: أأصدقك؟ قال (ع) : الصدق أريد، قلت: أمَّا القلوب فمعك، وأمَّا السيوف فمع بنى أُميَّة، والنصر من عند الله.

قال: ما أراك إلّا صدقت، الناس عبيد المال، والدين لَعِقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما درَّت به معايشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلَّ الديّانون» .(۲)

فجاءت ثورته وشهادته صرخة مدوية لاستنهاض الأُمّة من رقدتها وسباتها، وبثّ الروح فيها من جديد، لإحياء الدين الصحيح الذى جاء رسول‌الله (ص) .

إذن، فلا توجد مخالفة أو مغايرة بين الفعلين، بين الصلح وبين الحرب.

الحقيقة الثالثة: الخط الأموى يرى أنَّ الرسالة ليست إلاّ مُلك وسلطان

مقولة أبو سفيان: (هو المُلك، ولا أدرى ما جنّة ولا نار)

وهذه الحقيقة جسّدها أبو سفيان حينما أطلق مقولته المشهورة، كما رواها الحسن البصرى، ونقلها ابن عبدالبر:

۱- دور أئمة أهل البيت فى الحياة السياسية، عادل أديب، ص ۲۰۰.

۲- كشف الغمة، ج۲، ص ۲۴۱.

ص:۱۱۵

عن الحسن، أنَّ أباسفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدى، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بنى أُميّة، فإنّما هو المُلك، ولا أدرى ما جنة ولا نار.(۱)

وكذلك ما تفوَّه به أبو سفيان أيضاً، حينما قال للعباس، قبل عام الفتح: لقد أصبح مُلك ابن أخيك عظيماً، فقال له العباس: ويحك، إنَّه ليس بمُلك، إنَّها النبوَّة. (۲)

فأبوسفيان يرى أنَّ ما جاء به محمد (ص) هو لأجل الملك، فلا جنة ولانار فى نظره.

مقولة معاوية (لا والله إلّا دفناً دفنا)

وانعكس هذا الأمر بصورة جليّة على ابنه معاوية، فسار على نفس المنهج الذى ورثه من أبيه، ولعلَّ ما سنذكره من نصٍّ أو محاورة دارت بين معاوية والمغيرة بن شعبة، تكشف عن هذا الأمر بجلاءٍ ووضوح.

فقد روى الزبير بن بكار – الذى يقول عنه ابن أبى الحديد: إنّه غير متّهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة على (ع) ، والانحراف عنه(۳)عن مطرف بن المغيرة بن شعبة، أنّه قال:

وفدت مع أبى المغيرة إلى معاوية، فكان أبى يأتيه يتحدَّث عنده، ثُمَّ

۱- الاستيعاب، ج ۴، ص ۱۶۷۹؛ النصائح الكافية، ابن عقيل، ص ۱۱۰.

۲- المعجم الصغير، ج ۲، ص۷۵؛ تاريخ الإسلام، ج ۲، ص۵۴۱؛ شرح نهج البلاغة، ج ۱۵، ص۱۷۵.

۳- ونفس هذا الكلام كرَّره ابن عقيل فى: النصائح الكافية، ص ۱۲۴. قال: «الزبير بن بكار هذا هو قاضى مكة، وهو مشهور فى المحدّثين، ومن رواة الصحيح، وهو غير متَّهم على معاوية، لعدالته وفضله، مع أنَّ فى الزبير بين كما علمت بعض انحراف عن على كرَّم الله وجهه» .

ص:۱۱۶

ينصرف إليَّ فيذكر معاوية ويذكر عقله، ويعجب ممَّا يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتمّاً، فانتظرته ساعة، وظننتُ أنّه لشيءٍ حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ قال: يا بني، إنّي جئت من عند أخبث الناس، قلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له، وقد خلوت به: إنَّك قد بلغت يا أميرالمؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنّك قد كبُرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بنيهاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي: هيهات، هيهات، ملك أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلك، فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: أبو بكر، ثُمَّ ملك أخو عدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ما غدا أن هلك، فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر، ثُمَّ ملك أخونا عثمان، فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل، وعمل به، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل، وأنَّ أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات، أشهد أنَّ محمداً رسول الله، فأيُّ عمل يبقى مع هذا لا أُمَّ لك؟ ! لا والله إلّا دفناً دفناً. (۱)

بل إنَّ الأمر لو خلى لمعاوية فلن يبقَ من بني هاشم نافخ نار، وهذا ما صرَّح به أمير المؤمنين علي (ع) حينما قال: «والله لودّ معاوية أنَّه ما بقي من بنيهاشم نافخ ضُرمة(۲)إلّا طعن في نيطه(۳)، إطفاءً لنور الله، ويأبى الله إلّا أنْ

۱- الزبير بن بكار، الموفقيات، ص ۴۶۲؛ شرح نهج البلاغة، ج ۵، ص ۱۳۰؛ النصائح الكافية، ص۱۴۲؛ كشف الغمة، ج۲، ص ۴۶؛ بحارالأنوار، ج ۳۳، ص ۱۶۹.

۲- الضرمة: النار، وهذا يقال عند المبالغة في الهلاك، لأنَّ الكبير والصغير ينفخان النار. لسان العرب، ابن منظور، ج۱۲، ص ۳۵۵.

۳- النيط: الموت، وطعن في نيطه، أي في جنازته إذا مات. لسان العرب، ج۷، ص ۴۲۱.

ص:۱۱۷

يُتمَّ نوره ولو كره الكافرون» . (۱)

ومع كل ما فعله معاويـة، ولكن الأُمَّة كانت تعيش الشك كما تقـدّم؛ لانَّ «معاوية شـخص قد مارس عمله الإدارى والسياسـى بعد وفاة رسول‌الله (ص) بأقلٍّ من سـنة، خرج إلى المدينـة وذهب إلى الشام كعاملٍ عليها، وبقى معاويـة هناك مـدلّلًا محترماً معزَّزاً من قِبل ابن الخطـاب، الـذى كـان يُنظَر إليه بشـكل عـام فى المجتمع الإسـلامى بنظرة الاـحترام والتقـدير، حتى أنَّ عمر بن الخطاب حينما أراد أن يُؤدِّب ولاته، اسـتثنى معاويـة من هـذا التأديب، وحينما أراد أن يُقاسم أموال ولاته، اسـتثنى معاوية من ذلك! فمعاوية كان والياً موثوقاً به، معزَّزاً من الناحيـة الإسـلامية عنـد ابن‌الخطاب، وبعـد هـذا جاء عثمان، فوسّع من نطاق ولايـة معاويـة، وضمَّ إليه عـدَّة بلدان أُخرى، إضافةً إلى الشام، ولم يطرأ أىّ تغيير فى ابن أبى‌سفيان، فمعاوية لم يكن شخصاً مكشوفاً، بل كان شخصاً عنوانه الاجتماعى أنَّه حريص على كرامة الإسلام. . .» . (۲)و حيث كان معاوية صاحب شخصية تتظاهر بالصلاح و الدفاع عن الاسلام، كان لزاماً على الإمام الحسن (ع) أن يكشف القناع عن حقيقة شخصـية معاوية وأما يزيد، فكان صاحب شخصـية معروفة بالفسق و الفجور، ولم يكن شك فى قلب أحد حول ابتعاده عن الحق.

فهنا الإمام الحسن (ع) يعلم أنَّ الأُمَّة تعيش حالـة مرض الشك، ويعلم أيضاً أنَّ مُجرَيات الأحـداث التى مرَّ بها، من الخذلان الذى ساد جيشه، وكذلك ما فعله معاوية من شـراء الذمم، يعلم أنَّه لو دخل فى مضـمار الحرب، تكون النتيجة أسر الإمام (ع) وقتل جميع شيعته، وبهذا يستطيع معاوية تضليل

۱- غريب الحديث، ابن قتيبة، ج ۱، ص ۳۶۷.

۲- أهل البيت تنوُّع أدوار ووحدة هدف، ص ۱۱۰.

ص:۱۱۸

الرأى العام وتشويه الحقائق والتأريخ، ويفرض معاوية شروطه التى يريدها هو، وبهذا يضع معاوية حجر الأساس لمحو الإسلام، ويُفصّله بمقياسات أموية، بعيدة كل البعد عن ما جاء به رسول الله (ص) .

أو أن يحفظ شيعته ونفسه، ويضع شروطاً يكون لها الدور فى كشف معاوية للناس، وبيان أنَّه مخادع ماكر، وبذلك يفوّت عليه فرصة تنفيذ ما يخطِّط له.

وبالفعل كان الصُلح هو البذرة فى نجاح المشروع الحسنى، الذى أحبط المشروع الأموى، وخير مثال على نجاح الصُلح هو قول معاوية، بعد أيّام من قبوله شروط الامام:

«والله إنّى ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولالتحجُّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لَتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لأتأمَّر عليكم، وقد أعطانى الله ذلك وأنتم كارهون» .(۱) وفى نصٍ آخر مشابه، قال:

أترونى قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنَّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ! ولكنّنى قاتلتكم لأتأمَّر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتانى الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إنَّ كل مالٍ أو دمٍ أُصيب فى هذه الفتنة فمطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمىَّ هاتين.(۲)

فهنا معاوية كشف وأسفر عن وجهه الحقيقى، فليس الهدف هو الصلاة أو الصوم أو الحج. . . بل الإمرة والملك والسلطان. وهذا ما نطق به أبوه قبله: «والذى يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولاجنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة!» .(۳)

۱- المصنف، ابن أبى شيبة، ج ۷، ص ۲۵۱؛ شرح الأخبار، القاضى النعمان المغربى، ج ۲، ص ۵۳۳.

۲- شرح نهج البلاغة، ج۱۶، ص ۱۵.

۳- المصدر نفسه، ج ۹، ص ۵۳.

ص:۱۱۹

وكذلك تأميره لابنه يزيد الخلافة، حينما أخذ له البيعة بالقهر والسيف، عندما خطب بالناس:

فإنِّى قد أحببت أن أتقدَّم إليكم، إنَّه قد أعذر من أنذر، إنِّى كنت أخطب فيكم فيقوم إلىَّ القائم منكم فيكذّبنى على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح، وإنّى قائم بمقالة، فأقسم بالله لئن ردَّ علىَّ أحدكم فى مقامى هذا، لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقينَّ رجل إلّا على نفسه.

ثُمَّ دعا صاحب حرسه بحضرتهم، فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلَين، ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يردّ علىَّ كلمة، بتصديق أو تكذيب، فليضرباه بسيفهم. (۱)

ومعاوية يعلم أنَّ يزيد لا يستحقّ الخلافة، فهو ذلك الإنسان الشارب للخمر، اللاعب بالقرود، قاتل النفس المحترمة. وهذا المعتضد بالله العباسى يشرح مآثر معاوية، وكيف استخلف يزيد للحكم والخلافة بلا وجه حقّ، قال:

إيثاره (أى معاوية) بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد، المتكبر الخمير، صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين، بالقهر والسطوة والوعيد، والإخافة والتهديد والرهبة، وهو يعلم سفهه، ويطَّلع على خُبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلمَّا تمكَّن منه ما مكَّنه منه، ووطَّأه له، وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرَّة الوقيعة، التى لم يكن فى الإسلام أشنع منها، ولا أفحش ممّا ارتكب من الصالحين

۱- الكامل فى التأريخ، ج ۳، ص ۵۱۰.

ص:۱۲۰

فيها، وشفى بذلك عبد نفسه وغليله، وظنَّ أنْ قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره، ومُظهراً لشركه:

ليت أشياخى ببدرٍ شهدوا

جزَعَ الخزرج من وقع الأسل

قدقتلنا القرم من ساداتكم

وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فأهلوا واستهلوا فرحاً

ثم قالوا يا يزيد لا تسل

لعبت هاشم بالملك فلا

خبر جاء و لا وحى نزل(۱)

إذن، لو فرضنا أنَّ الامام الحسن (ع) اختار طريق الشهادة، فهل يحقِّق المصلحة التى يرجوها الإمام، وهى حفظ الإسلام من مكرِ معاوية، أو أن النتيجة تكون فى صالح معاوية، والأُمّة تكون شاكّة ليومنا هذا؟ !

وللأسف نجد اليوم مَن يدافع عن معاوية وأفعاله التى فرَّقت الأُمّة شيعاً شيعاً، والتى يصفها العقاد، بجرأته المعهودة، أنّه:

لو حاسب التاريخ معاوية حسابه الصحيح، لما وصفه بغير مُفرِّق الجماعات، ولكن العبرة لقارئ التاريخ فى زنة الأعمال والرجال أن تجد من المؤرِّخين مَن يُسمِّى عامه، حين انفرد بالدولة، (عام الجماعة) ؛ لأنَّه مزَّق الأُمَّة شيعاً شيعاً! ! فلا تعرف كيف تتَّفق إذا حاولت الاتفاق، وما لبث أن تركها بعده تختلف فى عهد كل خليفة، شيعاً شيعاً، بين ولاية العهود!(۲)

فكيف لو لم يضع الإمام الحسن (ع) بصُلحه على الموضع الذى يكشف لنا تأريخ معاوية وأفعاله؟ !

إذن، فهل يصح أن نقول: إن الامام لم يستشهد أو يموت؛ لأنَّه اختار حياة الدعة والراحة؟

۱- تأريخ الطبرى، ج ۸، ص ۱۸۷.

۲- معاوية، العقاد، ص ۴۲.

ص:۱۲۱

الخاتمة

ممَّا تقدم يمكن أن نقول: إنَّ الإمام الحسن (ع) ، عند إقدامه على مشروع الصلح، كان يرى مصلحة الإسلام، والوظيفة الشرعية اقتضت أن يقدِّم هذا الحلّ، بمقتضى مُعطَيات ذلك الظرف الذى عاشه.

ومن السذاجة بمكانٍ أن يُتَّهم الإمام الحسن (ع) بعدم الشجاعة، ومقارنته بأخيه الحسين (ع) ؛ فلكلٍّ مرحلته وظروفه التى تُحتِّم عليه العمل طبقاً لتلك المرحلة، مضافاً إلى ذلك أنَّ الحُكم على قضيةٍ ما، لابدّ أن تُدرس من جميع الجوانب و كل الاطراف ثُمَّ الحكم عليها.

فهناك القائد وهناك الأُمَّة، وهناك العدو اللدود المخادع لهما. فهل كانت الأُمّة التى حكمها الإمام تسير بشكل طبيعى، وفق ما يرسمها لها قائدها، أم أنَّها أُمّة مشلولة مبتلية بالشكّ، كما تقدّم فى بحوثنا السابقة؟ ! لذا مهمّة القائد أن ينتشل هذا المريض ممّا أصابه، ويعيد إليه بعض ما فقده؛ لذا جاء الصُلح، لكى تُستنهَض تلك النفوس من كبوتها، وتعيد حساباتها مرَّة أُخرى، فالإسلام كاد أن يُقضى عليه بأفعال معاوية، ولكن شاءت الأقدار أن يأتى الصُلح ويفضح ما حيك له، ويكشف للأُمَّة ما كان مُعداً لها سلفاً، فالصلح

ص:۱۲۲

ضرورة فرضتها حكمة وعقلانية الإمام، وسقط ما فی يد معاوية. معاوية الذی قال له ابن عباس: ألا تكفّ عن شتم هذا الرجل؟ ! قال: ما كنت لأفعل حتی يربو عليه الصغير، ويهرم فيه الكبير. (۱)ويقصد بذلك سبّ علی (ع) ودفن سيرته، وبالتالی دفن الإسلام برُمَّته. ولكن «هی أُمنية لم‌تتحقّق لك يا طاغية الشام، فقد ربا الصغير وهرم الكبير، فی كل عصر ومصر، علی تمجيد سيرة علی (ع) ، وعلی ذم افتنانك فی المكر والدهاء، وقد أبی الله إلَّا أنْ يُتمَّ نوره ولو كرهت. . .» .(۲)

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّی الله علی محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

۱- العثمانية، الجاحظ، ص۲۸۵.

۲- الحسن بن علی، كامل سليمان، ص ۱۸۰.

ص:۱۲۳

المراجع والمصادر

* القرآن الكريم

* نهج البلاغة

۱. الاحتجاج، احمد بن على الطبرسى، تعليقات وملاحظات: السيد محمد باقر، النجف الأشرف، دارالنعمان للطباعة والنشر، ۱۳۸۶ه. ق.

۲. الأخبار الدخيلة، محمدتقى التسترى، طهران، مكتبة الصدوق.

۳. الإرشاد، محمد بن محمد الشيخ المفيد، ط ۲، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ۱۴۱۴ه. ق.

۴. الاستيعاب، يوسف بن عبد البر، بيروت، دار الجيل.

۵. الإصابة، احمد بن حجر العسقلانى، بيروت، دار الكتب العلمية.

۶. الأصول العامة للفقه المقارن، محمد تقى الحكيم، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) للطباعة والنشر.

۷. أصول مذهب الشيعة، ناصر بن عبدالله القفارى، ط ۳، الجيزة، دار الرضا، ۱۴۱۸ه. ق.

۸. أضواء على السنة النبوية، محمود أبو رية، ط ۵، البطحاء.

۹. الأعلام، خير الدين الزركلى، ط۵، بيروت، دار العلم للملايين، ۱۹۸۰م.

ص:۱۲۴

۱۰. أعيان الشيعة، محسن الأمين، بيروت، دار التعارف للمطبوعات.

۱۱. الإمام الحسن القائد والتأريخ، فؤاد الأحمد، ط ۱، بيروت، دار البيان العربى، ۱۴۱۱ ه. ق.

۱۲. الإمامة والسياسة، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، تحقيق: طه محمد الزينى، مصر، مؤسسة الحلبى.

۱۳. أهل البيت تنوُّع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، بيروت، دارالتعارف.

۱۴. بحارالأنوار، محمدباقر المجلسى، ط ۲، بيروت، مؤسسة الوفاء، ۱۴۰۳ه. ق.

۱۵. البداية والنهاية، اسماعيل بن كثير، تحقيق: على شيرى، ط ۱، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ۱۴۰۸ه. ق.

۱۶. تاج العروس، محمدبن مرتضى الزبيدى، تحقيق: على شيرى، بيروت، دارالفكر.

۱۷. تاريخ ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، بيروت، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، ۱۳۹۱ه. ق.

۱۸. تاريخ الإسلام، شمس الدين محمد الذهبى، ط ۱، دار الكتاب العربى، ۱۴۰۷ه. ق.

۱۹. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطى، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، ط ۱، مصر، مطبعة السعادة، ۱۳۷۱ه. ق.

۲۰. التاريخ الصغير، محمد بن إسماعيل البخارى، بيروت، دارالمعرفة.

۲۱. تاريخ الطبرى، محمد بن جرير الطبرى، بيروت، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات.

ص:۱۲۵

۲۲. تاریخ الیعقوبی، احمد بن ابی یعقوب الیعقوبی، بیروت، دار صادر.

۲۳. تاریخ بغداد، ابوبکر بن الخطیب البغدادی، ط۱، بیروت، دارالکتب العلمیة، ۱۴۱۷ ه. ق.

۲۴. تحف العقول، حسن بن علی بن شعبة الحرانی، قم المشرفة، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسین.

۲۵. تذکرة الحفاظ، شمس الدین محمد الذهبی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۲۶. ترجمة الإمام الحسن (ع) ، علی بن عساکر، تحقیق: الشیخ محمد باقر المحمودی، ط۱، بیروت، مؤسسة المحمودی للطباعة والنشر، ۱۴۰۰ه. ق.

۲۷. تفسیر القرطبی، محمدبن احمد القرطبی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۲۸. تفسیر المیزان، محمد حسین الطباطبائی، قم المقدسة، منشورات جماعة المدرسین فی الحوزة العلمیة.

۲۹. تفسیر مجمع البیان، فضل بن الحسن الطبرسی، بیروت، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات.

۳۰. تنزیه الأنبیاء، الشریف المرتضی، ط۲، بیروت، دار الأضواء، ۱۴۰۹ه. ق.

۳۱. الحسن بن علی، توفیق أبوالعلم، ط۳، القاهرة، دار المعارف.

۳۲. الجامع الصغیر، جلال الدین السیوطی، ط۱، بیروت، دارالفکر للطباعة والنشر والتوزیع، ۱۴۰۱ ه. ق.

۳۳. الحسن بن علی، کامل سلیمان، بیروت، دار المعارف.

۳۴. خلاصة عبقات الأنوار، السید حامد النقوی، إیران، مؤسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامیة.

۳۵. الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور، جلال الدین السیوطی، بیروت، دار المعروف و مؤسسة الرسالة.

ص:۱۲۶

۳۶. دور أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) فی الحياة السياسية، عادل أديب، بيروت، دارالتعارف.

۳۷. الرسائل العشر، محمد بن الحسن الشيخ الطوسی، قم المقدسة، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسين.

۳۸. روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

۳۹. سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاری، ط۱، الشريف الرضی، ۱۴۱۳ه. ق.

۴۰. سنن أبی داود، السجستانی، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

۴۱. سنن الترمذی، الترمذی، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

۴۲. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد الذهبی، بيروت، مؤسسة الرسالة.

۴۳. سيرة الائمَّة الأطهار، مرتضی مطهری، بيروت، دار الهادی.

۴۴. شرح الأخبار، القاضی النعمان المغربی، قم المشرفه، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسين.

۴۵. شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين بن علی الشهيد الثانی، منشورات جامعة النجف الدينية.

۴۶. الشيعة فی الميزان، محمد جواد مغنية، بيروت، دار التعارف للمطبوعات.

۴۷. صحيح البخاری، محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاری، بيروت، دارالفكر، ۱۴۰۱ه. ق.

۴۸. صحيح مسلم، مسلم النيسابوری، بيروت، دار الفكر.

۴۹. صلح الإمام الحسن أسبابه ونتائجه، محمد جواد فضل الله، قم، دار المثقف المسلم.

۵۰. صلح الإمام الحسن، الشيخ راضی آل ياسين، منشورات الشريف الرضی.

ص:۱۲۷

۵۱. الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهیتمی، ط۱، بیروت، مؤسسة الرسالة، ۱۹۹۷م.

۵۲. العثمانیة، الجاحظ، مصر، دار الکتاب العربی.

۵۳. عدّة الأصول، محمدبن الحسن الشیخ الطوسی، تحقیق: محمد رضا الأنصاری القمی، قم، ستاره.

۵۴. معاویة، العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر.

۵۵. علل الشرائع، محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی (شیخ صدوق) ، النجف الأشرف، منشورات المکتبة الحیدریة، ۱۳۸۵ه. ق.

۵۶. عمدة الطالب، أحمد بن علی بن عنبة، ط ۲، النجف الأشرف، المطبعة الحیدریة، ۱۳۸۰ه. ق.

۵۷. عمدة القاری، محمود بن احمد العینی، دار إحیاء التراث العربی.

۵۸. الغدیر فی الکتاب والسنة والأدب، عبد الحسین أحمد الأمینی، ط۴، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۳۹۷ه. ق.

۵۹. غریب الحدیث، عبدالله بن مسلم بن قتیبة، قم، دار الکتب العلمیة.

۶۰. فتح الباری – شرح صحیح البخاری، أحمد بن حجر بن حجر العسقلانی، ط۲، بیروت، دارالمعرفة للطباعة والنشر.

۶۱. فرائد السمطین، ابراهیم بن محمد الجوینی الشافعی، حقّقه وعلَّق علیه: الشیخ محمد باقر المحمودی، ط۱، بیروت، مؤسسة المحمودی للطباعة والنشر، ۱۴۰۰ ه. ق.

۶۲. الفصول المختارة، الشریف المرتضی، ط۲، بیروت، دار المفید للطباعة والنشر والتوزیع، ۱۴۱۴ ه. ق.

ص:۱۲۸

۶۳. الفصول المهمة فی تألیف الأُمَّة، السید عبدالحسین شرف الدین العاملی، قسم الإعلام الخارجی لمؤسسة البعثة.

۶۴. الفصول المهمـة فی معرفـة الأئمَّة، علی بن محمد بن الصـباغ المالکی، تحقیق: سامی الغریری، ط۱، دار الحدیث للطباعة والنشر، ۱۴۲۲ه. ق.

۶۵. الفصول فی الأصول، أحمد بن علی الجصاص، تحقیق: الدکتور عجیل جاسم النشمی، ط۱، ۱۴۰۸ ه. ق.

۶۶. فیض القدیر، محمد عبدالرؤوف المناوی، بیروت، دار الکتب العلمیة.

۶۷. قراءة فی کتب العقائد، حسن بن فرحان المالکی، ط۱، عمان، مرکز الدراسات التأریخیة، ۱۴۲۱ ه. ق.

۶۸. القرآن فی الإسلام، محمد حسین الطباطبائی، تعریب: السید أحمد الحسینی.

۶۹. قواعد الأحکام، العلامة الحلی حسن بن یوسف، قم المشرفة، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسین.

۷۰. قوت القلوب، أبوطالب المکی، بیروت، دار الکتب العلمیة.

۷۱. الکافی، محمد بن یعقوب الکلینی، طهران، دار الکتب الإسلامیة.

۷۲. الکامل فی التاریخ، علی بن ابن الکرم بن الأثیر، بیروت، دار صادر، ۱۳۸۶ه. ق.

۷۳. کشف الغمة، علی بن عیسی الاربلی، بیروت، دار الأضواء.

۷۴. الکفایة فی علم الدرایة، ابوبکر بن الخطیب البغدادی، ط۱، بیروت، دارالکتاب العربی، ۱۴۰۵ ه. ق.

۷۵. کمال الدین وتمام النعمة، شیخ الصدوق، محمد بن علی، قم المقدسة، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسین، ۱۴۰۵ه. ق.

۷۶. لسان العرب، محمد بن مکرم بن منظور، ط۱، بیروت، دار صادر.

ص:۱۲۹

۷۷.لسان المیزان، أحمد بن حجر العسقلانی، بیروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.

۷۸. المحاسن، احمد بن محمد البرقی، طهران، دار الکتب الإسلامیة.

۷۹. المختصر من أخبار البشر، أبو الفداء، القاهرة، مکتبة المتنبی.

۸۰. مروج الذهب، علی بن الحسین المسعودی، بیروت، دار المعرفة.

۸۱. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، بیروت، دار صادر.

۸۲. مصباح الهدایة فی إثبات الولایة، علی البهبهانی، أهواز، مدرسة دار العلم.

۸۳. مطالب السؤول، محمد بن طلحة الشافعی، تحقیق: ماجد بن أحمد العطیة، ط۱، مؤسسة أم القری، ۱۴۲۰ه. ق.

۸۴. مع عبدالله السعد، حسن بن فرحان المالکی، ط۱، عمان، مرکز الدراسات التأریخیة، ۱۴۲۲ ه. ق.

۸۵. المعجم الصغیر، سلیمان بن أحمد الطبرانی، بیروت، دار الکتب العلمیة.

۸۶. معجم شیوخ الذهبی، شمس الدین محمد الذهبی، ط۱، بیروت، دار الکتب العلمیة، ۱۴۱۳ ه. ق.

۸۷. معرفة علوم الحدیث، محمد بن عبدالله الحاکم النیسابوری، ط۴، بیروت، منشورات دار الآفاق الحدیث، ۱۴۰۰ ه. ق.

۸۸. مفردات غریب القرآن، حسین بن محمد الراغب الأصفهانی، ط۲، دفتر نشر الکتاب، ۱۴۰۴ ه. ق.

۸۹. مقاتل الطالبیین، أبوالفرج الأصبهانی، ط۲، النجف الأشرف، منشورات المکتبة الحیدریة ومطبعتها، ۱۳۸۵ه. ق.

۹۰. مناقب آل أبی طالب، محمد بن علی بن شهر آشوب، النجف الأشرف، المطبعة الحیدریة، ۱۳۷۶ه. ق.

۹۱. الموفقیات، الزبیر بن بکار، بیروت، عالم الکتب.

ص:۱۳۰

۹۲. النصائح الكافية، محمد بن عقيل، قم المقدسة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ۱۴۱۲ه. ق.

۹۳. الوافی بالوفیات، خلیل بن ایبک الصفدی، بیروت، دار إحیاء التراث.

۹۴. الوسائل، محمد بن الحسن الحر العاملی، قم المشرفة، مؤسسة آل البیت (علیهم السلام) لإحیاء التراث.

۹۵. ینابیع المودَّة، سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی، دار الأُسوة للطباعة والنشر.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹